بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود

للشيخ العلامة المحقق الإمام
نور الدين عبدالله بن حميد السالمي

247

247

ملك جميل
أبي إسحاق إبراهيم الطيش
لخدمة التراث

بذل المجهود

في مخالفة النصارى واليهود

للشيخ العلامه المحقق الإمام

نور الدين عبد الله بن حميد السالمي

الطبعة الأولى : ١٩٩٥م

الناشر
مكتبة الامام نورالدين السالمي

حقوق الطبع
محفوظة لأحفاد المؤلف

كلمـــة الناشـــــر

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتمهم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

كثيراً ما يتردد عليّ طلبة العلم، يسألونني في نشر هذه الرسالة القيمة (بذل المجهود ـ في مخالفة النصارى واليهود)،

للوالد الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي رضي الله عنه.

وخدمة للعلم، بذلت جهدي في نقلها من مخطوطة شبه قديمة، وقمت بتنقيح هذه المخطوطة على قدر ماقدرني الباري جلت قدرته من فهم ، ثم عرضتها بعد ذلك على فضيلة القاضي الشيخ العلامة سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، وقام فضيلته مشكوراً ومأجوراً بمراجعتها، وتعديل ماغاب عن فهمي، ثم قرنها بتقديم للمؤلف.

وها أنا أضع هذه الرسالة القيمة بين يدي طلبة العلم راجيا من الله العلي القدير العفو والثواب، وبالله التوفيق.

سعود بن حمد بن نور الدين السالمي
في ١ / شعبان / ١٤١٥ هـ
الموافق ٣ / يناير / ١٩٩٥م

التقـــديم

بسم الله الرحمن الرحـيم ، الحـمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهدايتـه يسـتنار في الحـالكات، والذي أضـاء الآفاق بنور الإسلام ، وأشرق الكون بمـحـمـد عليه الصلاة والسلام، والذي أنزل عليه كتاباً عظيمًا بيَّن فـيـه مـعـالم الحلال والحرام، وجعله مرجعاً في كل دقيقة وجليلة منذ البـعثة إلى نهاية الدوام، ﷺ ما طلع النور على الظلام، أما بعد :

فإنه مـا قـبض رسـول الله ﷺ إلى الرفـيق الأعلى، إلا بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وأشرقت الارض بنور ربها، وقام بعده الخلفاء الـراشـدون، والـعلماء العـاملون بتأدية واجـبـهم، وحماية دينهم من العـبث والتـخليط، جـاء في أثرهم إمامنا ونور مذهبنا، العلامة العمَّالة عـبـدالله بن حميـد السـالمي، رضي الله عنه وأرضـاه، فـسدد وقارب، ونصح وأرشـد، وكـان من جملة مـاكـتـبه هذه الرسـالة المبـاركة (بذل المجـهـود ـ في مخالفـة النصارى واليهود)، والتى بصدد نشرها أحد أحفاده ـ سعود بن حمد بن عبدالله.

فجزاه الله خيراً، ويسر له في سعيه وهمته العالية، مشكوراًومأجوراً إن شاء الله.

هذا والله الموفق لكل خير.

سالم بن حمد بن سليمان بن حميد الحارثي

في ١ / شـــعبان / ١٤١٥ هـ

الموافق ٣ / يناير / ١٩٩٥م

«المقـــدمة»

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم،

بسم الله الرحمن الرحيم

قـال عـز من قائل : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قـبـلـكم ويتـوب عليكم والله عليم حكيم» «والله يريد أن يتـوب عليكم ويريد الذين يتَّبـعـون الشـهوات أن تميلوا ميلاً عظيما» «فما لكم في المنافـقين فئتين والله اركـسـهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجـد له سـبيلا» «ودوا لو تكفرون كما كفروا فـتكونون سـواء» «ولا تجـادل عن الذين يختـانون أنفسهم أن الله لا يحب من كـان خـوانا أثيما» «يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو مـعـهم إذ يبيِّتون مالا يرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطا» «ها أنتم هؤلاء جـادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أَمَّن يكون عليهم وكيلا».

«ربـنـا لا تزغ قلوبنا بعـد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

ذكـر الله محمـدا بخير وصلى عليـه وحـيَّاه بالسـلام، وصلى على إخوانه الأنبياء، وأصحابه الأتقياء، وتابعيهم إلى يوم القيام، أما بعد :

هذا جواب لكتاب وصلني من زنجبار، مجادلاً فيه عن إخوان الكفار، عبدة الدرهم والدينار، وذلك حين نزع الله حكومة زنجبار من أيدي المسلمين بما كسبت أيديهم. وسلط عليهم عدوهم، بما تركوه من أوامر ربهم، فاحتلها النصارى بالمكر والخدائع، ونصبوا لهم أنواع الحيل السالبة للدين، رغبة في سلب دينهم، كما سلبوا دنياهم، فيكونون سواء، فمال إليهم مَنْ لا خلاق له من جهال المسلمين، ومَنْ زاغ عقله عن سنن الدين، فتزينوا بملابسهم، وعوجوا السنتهم بلغاتهم، وخالطوهم في مدارسهم، وعاونوهم في محاكمهم التي هي بيت الظلم ومستقر البوار، فصدرت مني إليهم إشارة بالنصيحة عن هذا الاعوجاج، ومطالبة الرجوع إلى أقوم المنهاج، فصدر منهم هذا الهذَيَان، الذي يزعمون أنه من الاحتجاج ، فلم أر بُداً من جوابهم ، خوف الوعيد المذكور في قوله ﷺ : «إذا ظهرت البدع في أمتي فعلى العالم أن يظهر علمه، فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل» رواه جابر بن زيد مرسلاً، وفي الجامع الصغير من رواية ابن عساكر عن معاذ : «إذا ظهرت البدع، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فالينشره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد»، ووفاء بالعهد المأخوذ على العلماء في قوله تعالى : «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» . ثم جعلت في ذلك فصول :

الفصل الأول

في التحذير من مدارس النصارى

قال المعترض : أما الداخل في مدارس النصارى معلمًا كان أو متعلِّما، فأوضح لك حالة المعلم حسب المشاهدة- فالمعلم يلقي في أذهان المتعلمين صغاراً كانوا أو كباراً - التوحيد وشغله، والطهارات وكيفياتها، والصلوات ومعانيها، والكتابة العربية، والإنشاء العربي، والحساب، وقراءة القرآن على الوجه المرتضى، فإن كان هذا لا يجوز المسير إلى تلقينه، ولاشد الرحال إليه، فأقيموا الأدلة والبراهين الساطعة، وأجيبونا بأسرع حال، أم الأحسن ترك أولاد المسلمين بأيدي النصارى فقط، وأي فائدة في قوله تعالى : «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» ، وقوله : «ولكن ذكرى لعلهم يهتدون» ، أم هذا خاص به ﷺ دون غيره، فالمدرسة المشار إليها واضعها إسلامي، والنصارى فيها عملة، وأحد العملة سب النبي ﷺ، فبلغ السيد علي بن حمود، وحالاً أرسل إلى الناظر - مدير المدرسة - فقرعه، فأجابه إن قامت البينة على الساب ليعزِّرنه، ولم تقم عليه بينة ، ومع ذلك فقد هدد، فحينئذ هل الأوجب صبغ الأولاد صبغة دينية، أم يتركون وجهلهم إذا كان لابد من تعليم هذه اللغة الأجنبية.

هذا كلامه، وهو ينقض بعضه بعضا وجوابه :

إنك قد تركت الأهم الأعظم من مقصود القوم، وهو - محض نظرهم وغاية أملهم، وذلك أن المعلم النصراني يختلي بهؤلاء الصبيان من أولاد المسلمين وغيرهم في وقت مخصوص وساعة معروفة، فيلقنهم ما شاء من الكفريات التي تسلخهم من فطرة الإسلام رأسا، ومن نفحات تلك المكفرات ما ذكرته عن ذلك النصراني من سب سيد الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام، وما ذكرته من تعليم التوحيد وما بعده من الخصال ، فهو ذريعة إلى تدريجكم إلى المهاوي ، والقائكم في المهالك ، ولابد للفخ من حب يقع عليه الطائر، فلو جاهروكم بمرادهم وكشفوا لكم أغراضهم، لقفّت شعوركم، واقشعرّت جلودكم، واشمأزت قلوبكم، ونفرتم عنهم كل نفرة، لكن القوم أدرى بمصائدكم ، وأعرف بمكائدكم ، فهم أشد من الأفعى لينا وعداوة، وأروغ من الثعلب، وأخدع من السراب، ولهم في المكر أبواب يعجز عنها الشيطان، فهم نظير الشاعر المجاهر بقوله :

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى

بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده

طرائق فسقٍ ليس يُحسنها بعدي

وكون المدرسة من أبناء المسلمين لا يهوّن الأمر بل يعظمه، فانه خفف عنهم مؤنة البناء، وزادهم استطالة على المسلمين، حيث ورثوا

أرضهم وديارهم وأموالهم، عكس الحال الذي عليه أسلافهم مع أسلافنا، وذلك بما كسبت أيديكم.

الله المستعان، مامثُلنا عند هؤلاء النصارى إلا مثل بني إسرائيل عند عدوهم بختنَصّر، عافيتك اللهم وعفوك ونصرك وتأييدك، أغث حرمة الإسلام ياغياث المستغيثين.

إنه من المعلوم أن العبرة في المدارس بأهلها المتولين بأمرها، القائمين بلوزامها ، من تدريس وغيره، دون الباني الذي أسسها، إذ البناء لا يؤثر في المطلوب، وإنما يؤثر من تصدّى فيه لذلك، والجهل بما تفيده مدارس النصارى من كفرياتهم أولى وأسلم من العلم والإطلاع عليه، فإن الجاهل به سليم العقل صحيح الإعتقاد كامل التوحيد، كما عليه الحال في عوام المسلمين، والعالِمُ به والمطلع عليه ربما يفضي به الحال إلى الشرك بعد الإسلام، وهو لا يدري، وربما أورثه الشك في عقيدته، والطعن في سلفه، وربما أورثه موالاة أعداء الله، ومعاداة أولياء الله ، فيكون حكمه حكم من تولى لقوله تعالى : «ومن يتولهم منكم فإنه منهم ويحشر معهم يوم القيامة»، وللحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : «من أحب قوما حشره الله في زمرتهم»، رواه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة.

وقد تنبه علماء الملّة الإسلامية على مكائد النصارى ومطالبهم من هذه المدارس، فنبهوا عليها الناس ، وأزالوا عنهم الإلباس ، وحذروهم من الوقوع في شرورها، وألّف في ذلك الشيخ يوسف بن

إسماعيل النبهاني تأليفا سماه إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى، حيث قال في الفصل الثالث منه مانصه : وانظر أيها المسلم العاقل رحمك الله وأرشدك إلى مافيه رضاه إلى اجتهاد الدول الإفرنجية في فتح المدارس في بلاد الإسلام وإنفاقهم عليها النفقات الكثيرة على ممر الشهور والأعوام ، واعتنائهم بشئونها الإعتناء التام، أتراهم يا أخي يفعلون ذلك شفقة منهم على إبنك المسلم، ليس من ملتهم ولا دولتهم ، وحرصا على نجاحه، كلاّ، والله لا يفعلون ذلك إلا لمقاصد مُهمّة، وفوائد لهم كثيرة جمّة، تقابل نفقاتهم وأتعابهم أضعافاً مضاعفة ـ وهي كلها عليك وعلى إبنك وعلى دينك، وأهل ملتك.

دواهي عظمى ومصائب كبرى، يعلم ذلك جميع العقلاء، ولا يخفى إلا على الجهلة الأغبياء، فمن فوائدهم أنهم يخرجون هؤلاء الصبيان الذين يتعلمون في مدارسهم من دين الإسلام اخراجاً حقيقياً بقلوبهم، وإن بقوا في الظاهر مسلمين، ويستجلبون محبتهم لهم محبة ممتزجة بلحمهم ودمهم وينشأون عليها ويعيشون عليها، وذلك بتعلمهم لغاتهم وعوائدهم وكتبهم واحوال مشاهيرهم، وتراجمهم ، يرويها لهم المعلمون بأجمل الروايات، وفي ضمن ذلك يذمون لهم عقائد الإسلام ومشاهير المسلمين وأئمة الدين حتى ربما يتجاوزون إلى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وتتكرر هذه الأمور على سمع الصبي المسلم في عدة سنين،

فلا يخرج من المدرسة إلا وقد تجرد بالكلية من دينه وحميته الإسلامية، وصارت تلك الدولة الممددة للمدرسة التى تعلم فيها، أحب إليه من دولته، وجنسيتها أحب إليه من جنسيته، معتقداً فيها وفي رجالها الكمال، وهو لم يتعلم شيئا من دين الإسلام وسيرة نبيه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ومناقب أصحابه الهداة المهديين، وفضائل أئمة دينه المبين، واحوال خلفائه الراشدين، ومن بعدهم من السلاطين ، والأمراء العادلين، بل روى له عنهم شياطين أولئك المعلمين عكس أوصافهم الجميلة، ومناقبهم الجليلة ، فاعتقد فيهم خلاف الكمال الذي اعتقده، وعلى خلاف الحقيقة في اعداء دينه ودولته، وهؤلاء التلاميذ يكبرون ويعيشون في الظاهر من جملة المسلمين وفي الحقيقة هم اعداء الله والدين، وقد أُشربت قلوبهم الزندقة والضلال المبين، وترى الواحد منهم لا يجد خلوة مع من يشاكله في ضلاله وسوء حاله، إلا ويتذاكر معه الإعتراضات على دين الاسلام، وعوائد المسلمين، ويمدحون تلك الدولة صاحبة المدرسة التي كملوا فيها دروس الضلال ، وتجردوا من الدين والكمال ، ولا يزال يخرج من هؤلاء الزنادقة في كل سنة من هذه المدارس النصرانية عدد كثير، فيجتمع منهم في عدة سنين الجم الغفير، جلهم أوكلهم على هذا الحال، قد جعلوا الحق وراءهم ظِهريا ، ومابعد الحق إلا الضلال.

ومما يؤيد ماقلته من مقاصد الافرنج في فتح هذه المدارس ما ذكره الفاضل محمد أفندي طلعت المصري في أواخر كتابه تربية المرأة، نقلاً

عن مجلة سماها صاحبها مجلة العالمين، لأحد مشاهير كتاب الإفرنج، بين فيها مايبذل قومه من المساعي والأموال، في سبيل تقييم النصارى في الشرق ، وغرس محبة دولته في أفئدتهم ، ليكونوا لها مصانع واحزاباً، ثم قال : ومع ذلك فهذه المساعي لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها، لتباينُ الطوائف النصرانية، فمن الضروري إذاً جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضا، ومتى صاروا فرقة واحدة، تمكّنوا من مقاومة المسلمين والإعتلاء عليهم.

وفي كلامه على المدارس النصرانية التى اتخذوها سبيلا إلى غايتهم المنكرة سطَّر به القلم فأظهر ماتكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى، قائلاً : إن من الواجب على الأمم النصرانية ان تعاكس الإسلام في كل طريق ، وتحارب أهله بكل سلاح، ثم رأى ان مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشاراً ، وان الواسطة الفعالة لهدم أركان الإسلام وتقويض بنيانه على ماقال : هي تربية بنيه في المدارس النصرانية، والقاء بذور الشك في قلوبهم من عهد النشأة، فتفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون، وان لم يتنبه منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا نصارى مذبذبين بين ذلك.

ثم قال : وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام وبلاده، مما إذا اعتنقوا الديانة النصرانية، وتظاهروا بها.

ولما انتقل إلى ذكر تربية بنات المسلمين ، نفض كل مافي جرابه فقال

: إن تربية بنات المسلمين في مدارس الراهبات، أدعى لحصولنا على حقيقة القصد، ووصولنا إلى نفس الغاية التى وراءها نسعى، بل أقول إن تربية البنات بهذه الكيفية ، هي التربية الوحيدة للقضاء على الإسلام من أيدي أهله.

ثم ذكر مايترتب على دخول مدارسهم من تغيير أخلاق المرأة المسلمة حتى تتغلب على زوجها، فقال : ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة ، وأصبح الرجل في قبضة تصرفها ، فتؤثر في عقيدته ، وتُبعده عن الإسلام ، وتربي أولادها على غير دين أبيهم ، وفي اليوم الذي تُغذي فيه الام أولادها بلبان هذه التربية، تكون قد تغلبت على الإسلام نفسه ، فتلك هي أقرب الطرق وانجح الوسائل لمحاربة الإسلام بأهله دون جَلَبةٍ ولا ضوضاء، وهي لا شك أدعى لنوال المأرب وبلوغ المرام ، فليس لنا إلا اتباعها ، أما السعي جهاراً في محاجة المسلم ، فإنه يُوقض عوامل التعصب الكامنة في نفسه ، الساكنة بين جوانحه ، فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم في شيء،

انتهى كلام الكاتب المذكور ، قال بعده محمد أفندي طلعت : هذه نفثات من مصدور ، أكتفي في الإشارة إليها دون تعليق عليها، وأرجوا أن تكون عبرة للآباء ، وذكرى للأمهات والأبناء.

انتهى ، قال النبهاني : فاليعتبر العاقلون، وإنا لله وإنا إليه

راجعون، وقال في الفصل العشرين : من هذه المدارس مدارس مخصوصة بالاناث، افتتحها بعض طوائف النصارى من الافرنج وخصوصا البروتستانت في البلاد الإسلامية ، وصاروا يجلبون لها بنات المسلمين بكل حيلة ووسيلة ، ويحسنون إليهن بأنواع الإحسان، ولا سيَّما بنات الفقراء فيكسونهن ، ويعطونهن الدراهم والدقيق ، ونحو ذلك فامتلأت مدارسهم من البنات ، وهم يعلمونهن فيها أحكام دين النصارى ، فلا تخرج البنت بعد انتهاء مدة المدرسة إلا وهي نصرانية، أو زنديقةٌ لا دين لها ، ولم يبق في قلبها من العقائد الإسلامية شيء لأنها حينما دخلت المدرسة كانت صغيرة غير عارفة بأحكام الدين. وهكذا تعيش بعد تخرجها من المدرسة ، وتربي أولادها، وهي بحسب الظاهر مسلمة ، وفي الحقيقة لا دين لها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتهى كلامه، فهذه حقيقة مدارسهم ، وتلك غاية مطالبهم

والخصم لا يُخفى عليكم ... حاله حيث انقلب

سلب المالك باحتيالٍ ... قد علمتهم ماسلب

وأتى يُخادعكم فقلتم ... إنه الخِلّ المحب

بِتُّم وباتَ ينوشُكم ... بمكائدٍ لم تحتسب

شعواء دسَّ إليكمُ ... تحت الليالي والحجُب

مَنْ همَّ أن يصطاد مَنْ ... لم يخشه مكرا وقب

أيبركم ولديهِ أخبارُ ... الأوائلِ تُكتَبْ

كم وقعة تركت ... جماجمهم هشيمًا تُحتطب

كم عرصة تركت ... ملوكهمُ عبيدًا للعرب

كم غزوة تركت ذخا ... ئرهم غنائم تُنتَهب

أيكون مع هذا ود ... ادٌّ أو صفاءٌ مُرتقب

أيبر خصمٌ خصمهُ ... وله الأمورُ كما يُحب

ما خلفت أسلافكم ... إلا الكتائبَ والكُتُب

وسياسة تذر البعيد ... من المعالي مُقترب

وبسالة يهتز منها ... الخصمُ رعبًا مُضطرِب

لا بالخدائعِ حربُهُم ... والمكرُ ما كان السَّبب

لكنه ضرب يُطير ... الهام طيران السحب

وترى الأكف به تسا ... قط مثل أوراقٍ تُجَب

وترى الدماء به تصب ... كمثل غيثٍ مُنسكب

وترى المهند فيه ... يلمعُ مثل برقٍ من كثب

مَعَ قِـلَّةٍ منهـم وخصـ ـمهُمُ كأرمـال الكثـب

فغـدوا نجـومًا يُهتدى بهـمُ منَ العلـياء طـلب

قـال النبـهـاني في الفـصل الرابع عشر من إرشاده : ماهي ياترى الفـوائد التي حـصلهـا إبنك أيها المسلم في تلك المدارس النصرانية ، في مـقـابلة تضـيـيـعه دينه ، وشرفه وحميته ، وغيرته على ملته ودولته وبعد صيرورته بقلبه عدوا لإخوانه المسلمين ، وأوليائه الموحدين ، بل عـدوٌ لآبائه وأجـداده الذين مـضوا ناجين حائزين لشرف هذا الدين ، كما صـار صـديقـا محبا لأعداء دينه وملته وجنسيته ودولته ، ينشر مناقبهم ويستر مثالبهم ، ويحسّن قبائحهم ، ويقدم على مصالح ملته ودولتـه مصالحهم ، فما الفائدة التي حصلها في مقابلة ذلك إلا إحدى اللغات الإفرنجية ، وشيئا قليلا من مبادىء العلوم ، التي علمه بها لم يخرجـه عن كـونه جـاهلا ، مع إمكان تعلمـهـا وأكـثـر منها باتقان وسـلامـة إيمان في مـدارس المسلمين ، وما مثلك أيها الأب الجاهل في إضـاعـتك دين إبنك وشرفـه، واسـتـعواضه عنهما بما استعوض مما ذكـر ، إلا كـمن أضـاع أعظم الجـواهر نفـاسـة وقـيمة حتى استفاد عـوضها فلوسا قليلة أترى ذلك يعد عاقلا كلا والله ، بل هو مجنون ، قـد ابتلي بأعظم بلاء ، ومجذوم أصـيب بأقـبح داء، بل مافقده أعظم من الأرض والسماء ، ومـا وجده أقل من الذر والهباء، ولا يخفى ذلك على كل فـرد من أفراد المسلمين العقلاء ، وإن خُفي على أولئك الجهلة

الفـسـاق المرّاق الأغـبياء ، الذين قد فعلوا بأولادهم ومهج أكبادهم في إدخالهم هذه المدرسة مالا يفعل اكثر منه الأعداء بالأعداء.

وقـال في الفصل الخامس عشر : أيها المسلم ـ ماذا رأيت من الخير على من تعلم اللغـات الإفـرنجـيـة ، وعلومهم الدنيوية حتى خاطرت بدينك ودين ولدك هذه المخـاطرة العظيـمـة وأوقـعت نفسك وإبنك في هذه المراتع الوخـيمة، إذا كانت اللغات الإفرنجية متكفلة بسعة الرزق وعلوّ المنزلة والعـز والشرف في الدنيـا ، فلم نرى هؤلاء المعلمين الذين يتـعلم منهم ولدك في المدرسـة هم أفـقـر الناس ، وأذلهم وأشـقـاهم وأتعبهم في معيشتهم ، لم يحصلوا شيئا من رفعة الجاه، وعلوّ المنزلة والـعـز والـشرف في دنيـاهم ، مع كـونهم مـاهرين في هذه اللغـات ، وولدك إنما يأخـذ بعض مـاعندهم منهـا ، فلم ينجح ولدك في دنيـاه بالقليل الذي يأخـذه منهم ، ويتلقـاه عنهم ، وهم لم ينجـحوا بالكثير الذي أفنوا في تعلمـه أعمارهم ، وغـاية مـاحـصلوه من فوائد ذلك أن صـاروا معلمين في المدارس ، يشتغلون طول النهار بمعاشات قليلة لا تكفـيـهم مع عيالهم إلا بقدر الضرورة، وخير من معيشتهم ، وأوسع وأهنأ وأنفع ، مـعـيشة أقل عوام الناس المتسببين بنحو البيع والشراء، كما هو مـشـاهد، وهنالك جماعـة ممن يعـرفون هذه اللغات في أسوأ حـالة من الإحتياج، لا يتيسر لهم أن يكونوا معلمين ، وهم من أحوج الفـقراء والمساكين ، فلو كانت معرفة هذه اللغات متكفلة بسعة الرزق وكثرة المال ، لما كان هؤلاء في أضيق معيشة ، وأسوأ حال.

وانظر أيضا إلى أغنياء المسلمين ، تجدهم من التجار، أهل البيع والشراء، والأخذ والعطاء ، وجلهم أو كلهم لا يعرفون هذه اللغات ، وهم في كمال الرفاهية ، ورفعة الجاه، وعلو المنزلة ، وسعة العيش ، مع حفظ الدين والدنيا ، فالرزق إذا والجاه ، لا يتوقف واحد منهما على معرفة هذه اللغات ، فقد ظهر أنها غير متكفلة بسعة الرزق وعلوّ المنزلة في الدنيا ، بل الغالب عكس ذلك فيمن مهروا فيها ، وصرفوا أكثر أوقاتهم في تعلمها والتوسع فيها ، لأن هذه الأوقات الطويلة التى صرفوها في سبيلها ، لو صرفوها في الشغل بالتجارة وأسباب الكسب، لربما حصلوا من المال ما استغنوا به عن كونهم معلمين في المدارس ، أو كونهم كتابا عند بعض التجار بمعاشاة قليلة ، فاعلم ذلك، وإياك أن تضل ولدك وإياك ، والله يتولاك.

وقال في الفصل السابع عشر : إعلم أيها المسلم الجاهل والمجنون ، لا العاقل الذي خاطر بدين ولده ، فوضعه بهذه المدارس ، إني والله الذي لا إله إلا هو لو أعطيت الدنيا بحذافيرها على أني أختار لنفسي أو ولدي الكفر، لا أفعل . وهكذا كل مسلم ، فاذا لم يكن كذلك لا يكون مسلما ، وقد اخترت أنت الكفر لنفسك ولولدك بدون مقابل، على وهم أن ولدك يحصل له شيء من المال والجاه ، بسبب مايتعلمه بهذه المدارس النصرانية من اللغات الإفرنجية ، والعلوم الدنيوية مع أنك إذا نظرت نظر تحقيق ـ لم تر من كل مائة شخص من هؤلاء التلاميذ خمسة أشخاص ممن حصل لهم العز والجاه الكبير بدون هذه اللغات

والعلوم ، ومع ذلك تكدرت مشاهدة بصرك وعلمك ، الصحيح تصدق الشيطان وإخوانه ، وشرهم نفسك التي بين جنبيك ، فيما يُسوّلونه لك من هذه الأوهام التي أضعت بها منك ومن ولدك دين الإسلام ، الذي لا يعادله شيء من الدنيا وما فيها من الحكام ، وإذا لم يؤثر فيك أيها الجاهل هذا الكلام ، فلا لوم علينا إذا قلنا أنك لست من ذوي الأحلام ، وعلى من اتبع الهدى لا عليك السلام.

وقال في الفصل الثامن عشر : أيها المسلم إن إدخالك ولدك الى هذه المدارس النصرانية ـ أمر عظيم ، وبلاء جسيم لا أقدر أن أصف لك عظمته وجسامته ، ومن ذلك أنك ربما يكون بوضعك ولدك فيها على الوجه المذكور سببا لكفره ، وكفر ذريته من بعده ، ويحتمل أن يخرج منه من الذرية الوف كثيرة ، فتكون أنت السبب فى ضلالهم ، وعليك فوق إثمك مثل إثمهم أجمعين . قال رسول الله ﷺ : (من سن سنة سيئة فعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة) والمتسبب بالخير كفاعله ، فكيف ترضى لنفسك ذلك ، وأن تكون جد قوم كثيرين كلهم أهل كفر وضلال ، ولكن لا غرابة في رضاك لهم بذلك إذا رضيت به لنفسك ، فسلكت بها أقبح المسالك، وأوردتها شر المهالك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال في الفصل الحادي والعشرين : أنت تعرف أيها الإنسان قلبك وما انطوى عليه من العقائد الدينية فان كنت تعلم أنك غير مسلم ، وغير معتقد عقائد الإسلام ، فما ينفع معك كلام ، لأنك زنديق منافق، وقد اخترت لولدك من الزندقة والنفاق ، ما اخترته لنفسك ، فأنت وهو إذا تَبِعك على ضلالك في الدرك الأسفل من النار وبئس القرار ، وان كنت مسلما حقيقة معتقدا عقائد الإسلام ، وهذا هو ظننا فيك ، والله يهدينا ويهديك ، فما بالك تفرط في دين ابنك هذا التفريط العظيم، بل تفرط في دين نفسك أيضا، وترتع أنت وابنك في هذا المرتع الوخيم ، فإن كان قد حسَّن لك الشيطان واعوانه هذا الأمر القبيح ، فها أنا وأمثالي نوضح لك قبحه ووباله غاية التوضيح ، فَلِمَ تطيعهم وتعصينا ؟ ونحن ندعوك إلى الجنة ، وهم يدعونك الى النار ، ونحن نتسبب بنجاحك وهم يتسببون لك بالهلاك والدمار، مع معرفتك يقينا أننا أعرف منك فيما يصلح الدين ومايفسده ومايقرب الإنسان من الله ومايبعده ، فالله الله ، اتق الله في نفسك وولدك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وقال في الفصل الخامس والعشرين : ومن العجائب أنا نرى طوائف النصارى على الاطلاق ، لا يضعون أولادهم في مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة ، بل لا تضع طائفة منهم أولادها في مدارس طائفة أخرى ، لِأَ لَّا تتغير عقائدهم ، فان كل طائفة منهم تكفر الأخرى ، وكذلك اليهود مع قلتهم وذلتهم ، فتحوا لأولادهم

مدارس مخصوصة بهم ، لِأَ لَّا يحتاجوا في تعليمهم إلى وضعهم في مدارس المسلمين أو النصارى ، كل ذلك من هذه الطوائف ، لحرصهم على أديان أولادهم ، وفي حال مشاهدتنا ذلك منهم ، نرى كثيراً من فساق المسلمين ، غير حريصين على دين أولادهم ، فيضعونهم في مدارس أي طائفة من طوائف النصارى ، بل وفي مدارس اليهود أيضا ، ويخاطرون بدينهم غاية المخاطرة ليتعلموا شيئا من اللغات الافرنجية، وبعض العلوم الدنيوية ، حالة كونها يمكن تعلمها في مدارس المسلمين، وغير المدارس أيضا ، بأن يستأجر أبو الصبي معلما مخصوصا لولده ، يعلمه اللغة التي يريدها ، فانظر أيها المؤمن حرص هؤلاء على أديانهم الباطلة ، وعدم حرصك على دينك الحق ، وتعجب من نفسك ان كان ينفعلك العجب ، وأما قولك ـ أني لا أخشى على ولدي اتباع أديانهم ، لأنها ظاهرة البطلان فهذا يا أخى من تسويلات النفس ووساوس الشيطان ، لأن ولدك متى اختلت عقيدته الإسلامية ، فدخوله في دينهم وعدم دخوله سيان ، وها أنا اجتهدت في نصحك والله المستعان .

وقال في الفصل الثاني والثلاثين , أعلم ان من جهال المسلمين من يتقرب الى قلوب النصارى والأفرنج ، بوضع ولده في مدارسهم ، ويتودد إليهم بذلك حتى يحبوه ، ويقولوا أن فلانا ليس عنده عصبية دينية ، فيا أيها الجاهل الفاسق ، لأي شيىء أنت تتغير من نسبتك إلى العصبية الدينية ، وتسترها عنهم وهم يفتخرون بها ، ويظهرونها

بعدم وضع أولادهم في غير مدارسهم ، مع أن دينهم من أبطل الباطل الذي ينبغي أن يتعير به حقيقة ، ودينك من أحق الحق الذي يفتخر به حقيقة ، أمّا أنت فمنسوب لدين الإسلام الذي هو خير الأديان ، وأفضل ما عبد به الرحمن ، بل هو الدين الحق ، الوحيد الذي ما على فضله وكماله في السابقين واللاحقين من مزيد، فنحن والحمد لله ، لنا كل الفخر في هذه النسبة الشريفة ، التي لا شرف أشرف منها.

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي فهل بدارةَ ياللنّاسِ من عارِ

وياليت شعري ، ماهي العصبية الدينية ، هل هي إلا أن تتمسك بدينك ، وتحل ما أحل الله ، وتحرم ما حرم الله، وتحب في الله ، وتبغض في الله ، وهل الدين غير هذا ، وأنت تعلم أن دين الإسلام قد بني على الإعلان والأظهار ، لا على التكتم والاستهتار.

والستر دون الفاحشات ولا يلقاكَ دون الخيرِ من سترِ.

أما ترى الله تعالى كيف شرع الأذان في كل يوم خمس مرات، وبنوا لذلك المآذن ، وأعلنوه غاية الإعلان ، وأظهروه غاية الإظهار ، على رؤوس الأشهاد ، في جميع البلاد ، أتستره أنت أيها الجاهل الفاسق، بتوهمك أن إظهاره عليك عار ، وأنك بذلك تستجلب مودة الكفار، أُفٌّ لك من مسلم ساقط الهمة عديم النخوة ، هل سمعت قط أن عاقلا يجتهد في ستر شرفه ، الذي لا شرف مثله ؟ ويتغير باعلانه بين أعدائه وإخوانه؟

قال : ومن أعجب ماسمعت في هذا الباب أن رجلا من أكابر المسلمين . وهو من المحافظين على الصلاة والصيام ، وأنواع العبادات ، ويعد من صلحاء الجهال ، حضر في دعوة بعض أكابر النصارى ، فحينما وضعوا الخمر على المائدة وهو جالس عليها ، تناول كأسا وشربه ، خوفا من أن يقولوا متعصب في دينه ، وظن بجهله أن هذا الخاطر الشيطاني ، يكون عذرا له ، ولا يخل بطاعته ، فانظر إلى الجهل وآفاته.

وقال في الفصل الثلاثين : إن كنت أيها المسلم تحت حكم غير المسلمين ، مجبورا على وضع ولدك في مدارسهم ، فأما أن تكون قادرا على الهجرة إلى بلاد الإسلام التي تحت حكم المسلمين ، أو غير قادر على الهجرة ، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز حكم ذلك في الحالتين ، فقال في سورة النساء : «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستعضفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فؤلئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فؤلئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفورا رحيما».

قال البيضاوي في تفسيره : في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينيه قال : وعن النبي ﷺ : «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض وجبت له الجنة ، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام:

قال محشيه الشهاب الخفاجي : والهجرة من بلاد الكفار وبلاد لا تقام فيها شعائر الإسلام واجبة ، كما نقله ابن العربي المالكي قال : وكذا البلاد الوبئية.

وقال ابن حجر في فتح الباري : واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية.

هذا كلامه وهو طرف مما تضمنه إرشاده من المراشد البديعة والنصائح البالغة ، وأنت تعلم أنه كلام مطلع على دسائس القوم ، خبير بأحوالهم ، مشفق بأمته ، ناصح لهم ، فإن سمعت مقالته ، وسمعت نصحيته ، أخذت حظا وافرا من الحزم والكيس ، وإن أهملت مقالته ، واطرحت نصيحته ، ألقيت بيدك إلى التهلكة ، وسلمت نفسك لعدوك ، وكنت من الذين وصفهم الله تعالى ـ بأنهم أموات غير أحياء وما يشعرون ، فالله الله في نفسك ودينك ونسلك «ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل».

لا يقال أن كلامه في هذا الفصل الأخير يقتضي وجوب الهجرة ، وهي منسوخة بعد الفتح ، لأنا نقول إنما نسخت الهجرة بعد الفتح ، لما قوي الإسلام ، وأمن المسلمون من الفتنة في دينهم ، وتظاهر الناس بالإسلام ، وتمسكوا بعروته ، وتعززوا بمنعته ، وتمكنوا من دعوته ، وكانت الهجرة قبل ذلك واجبة ، حيث كان المسلم يُفتَنُ في دينه بين ظهراني الكفار ، وهو لا يستطيع دفاعا ، ولا يملك امتناعا إلا أن يعطيهم ذلك بلسانه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فشرع الله لهم في ذلك الحال التقية ، لطفا منه ورحمة ، وأوجب الهلاك على من شرح بالكفر صدرا ، فالتقية سبيل المستضعفين ، والهجرة سبيل المستطيعين ، فاذا نزلت على بعض المسلمين حالة مثل حالة من كان قبل الفتح من المسلمين ، وجب ان يعطوا حكم ذلك ، لأن الفرار بالدين واجب في كل زمان ، فالطمأنينة في أمكنة الكفار ، إنما تجوز عند سلامة الدين ، ولا تجوز عند فساده ، ومن اطمأن فيها مع فساد دينه كان قد آثر الدنيا على الدين ، ودخل تحت الوعيد المذكور ، ومن هاهنا قال أبو يعقوب رحمه الله تعالى : لا يجوز اتخاذ الأوطان في البلدان التي يمتلكها النصارى ، وتغلبوا على أهلها ، وجرت فيها احكامهم وذلك كله إنما يريد به الفرار بالدين ، فهو تحذير لهم من الإقامة بها ، لا كما توهمه بعض الجهلة ـ أن له أن يطمئن ، ولكن يصلي فيها قصرا فقط ، والله المستعان ، وبيده كل خير ، والعلم عند الله ، والسلام.

الفصل الثاني

في لبـــاس النصـــارى

وقد نهيتهم عن ذلك ، فقال المعترض المجادل عن الذين يختانون أنفسهم : لا يخفى على شيخنا أن اللباس ليس من العبادات ولا من الاعتقاديات ، إنما هو من العادات ، ولقد صرح الأثر عنه ﷺ ـ أهديت له كرزيه من الروم ، ضيقة الأكمام ، كان إذا أراد الوضوء ، يخرج الوضوء من أذيالها ، وأيضا فلابس الكوت ، لا يقال له لابس لباس المشركين ، لأن هذا الكوت أخذه المسلمون ، فعربوه وفصلوه تفصيلا غير تفصيل المشركين ، فالبعض زاد في طوله ، والبعض نقض من الطرفين ـ الطول والعرض ، وغير ذلك ، ولربما الخائط كان مسلما ، نعم لو لبس الكوت والبنطلون والبرنيطة ، وعقد الزنار ، وعلق الصليب في عنقه من غير إكراه فهذا لابس لباس المشركين ، وأيضا فالكوت منفردا ، أخف إضاعة مال من الجوخة والبشت ، المنقوشين بالقصب المفضّض، البالغ فوق الحاجة ـ ماية روبية ، وخمسين ، وأقلها ثلاثين روبية، وخمسين روبية ، وأقلها ثلاثين روبية وأي إضاعة أكثر من هذا ، إذ ثمن واحد من هذين يسد حاجة جم غفير من الفقراء وهاهم جياع ، وأيضا فالكوت ليس من خصوصيات لباس النصارى فقد شوركوا فيه أيضا أكل مستعمل المشركين حرام علينا ؟ فالكوت تلبسه الزنجباريون بعدما يلبسون الإزار والقميص والكمة والعِمَامة ، بدلا من الجوخة لخفته على الجسد ، وأقل مغرما وان كانت شريعة محمد ﷺ ، ليس فيها توسع لهذا الكوت ، فالأولى لأهل زنجبار الخروج من زنجبار ، ولا فائدة في قوله ﷺ : (جئت ميسرا لا معسرا).

لأن زماننا هذا الملبوس والمأكول والمشروب ، غالبه من عمليات المشركين ، وترك أفريقية للمشركين ، مما تطلبه المشركون في دهرها ولا قائل به إذا لم يمنعوهم دينهم.

الجواب : فلا أعرفه ، ولا أقول فيه على الخصوص بشيء. وإنما اتكلم في لباس الكفار من نصارى وغيرهم ، ولعل الفقراء الذين كانوا حولكم جياعا، امسوا ببركة لباكسم الجديد شباعا ، وتاللّهِ ما تركتم لباسكم زهدا ولا قناعة ولا اقتصادا ، ولا لقصد المواساة. لفقرائكم ، ولكنه أُشرب في قلوبكم حب أعدائكم ، فاستحسنتم منهم كل قبيح ، واستصلحتم كل فاسد ، وتشبهتم بحركاتهم وسكناتهم وتزينتم بهيئاتهم ، وطبعتم السنتكم على لغاتهم ، ونبذتم كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وسيرة السلف وراء ظهوركم ، فآمنتم ببعض الكتاب ، وكفرتم ببعض ، واستبدلتم بالرشد غيا ، وبالهدى ضلالا ، وبعتم الآخرة بالدنيا ، فما ربحت تجارتكم ولا أنتم مهتدون، إلا من رحم الله وتداركه بلطفه . فأيقض همته ، وفتح بصيرته ، وندم على خطيئته ، وراجع سيرة سلفه ورجع عن الظلمات إلى ماخرج منه من نور الهدى ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الإتباع ، ويجنبنا قبح الإبتداع ، والملابس الفاخرة موجودة عند العرب في جميع أيامها ، كل عصر بحسب ما يليق به ، في جاهلية وإسلام ، ولم يحرم الشارع منها إلا الذهب والحرير على الرجال خاصة . «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من

الرزق» وإنما تركها من تركها ، إنما لعدم وجودها عنده . أو لزهد وقناعة. ولم يتركها أحد ممن كان قبلكم لأجل ما أشرتم إليه ، ولم أر مثلكم يا أهل زنجبار في اختياركم هذا اللباس الأجنبي ، وسرعة انطباع أخلاق العدو منه فيكم، وهؤلاء البانيان من قديم الزمان يخالطون العرب ، وما تزينوا بشيء من زيِّهم ، ولا لبسوا شيئا من لباسهم ، حمية لملتهم ، وتعصبا لآبائهم ، وأنفة عن مخالفتهم ، وهم شر الناس ، وأخس الناس ولباسهم شر اللباس ، وأنتم مع كمال هيأتكم ، وعلوّ شان آبائكم وشرف أسلافكم ، سارعتم هذه المسارعة كلها في تبديل هيئاتكم المنيفة ، وتغير أخلاقكم الشريفة، أأحياءأنتم أم أموات ؟ أعقلاء أنتم أم مجانين ؟ والمنع من لباس الكفار ومن التشبه بهم في جميع الأحوال ثبت بالنصوص الصحيحة ، سنوردها إن شاء الله تعالى ، وأما لبس ما كان شعاراً للكفر من يهودية أو نصرانية أو مجوسية ، كالزنار ونحوه فهو شرك إجماعا ، وخروج عن الملة الإسلامية ، وكفر بعد إيمان ، وذلك الكفر الفعلي ، وما دون ذلك من اللباس والهيئات ـ فإن لبسه لابسٌ لقصد التشبه بهم ، مستحسناً لهيآتهم ، مستلذاً لحالتهم ، فهو شرك أيضا ، لأنه قد آثر الكفر على الإيمان . وانتظم في سلك أولياء الشيطان ، وإن لبسه عاريا من ذلك القصد الشنيع فأقل حاله أن يكون عاصيا غير مطيع ، ولِبسُهُ ﷺ للخميصة الشامية ، والجبة الشامية ، والحبرة اليمانية، والثياب السحولية ، لا يدل على جواز ذلك ، فإن الثياب الفاخرة في عصره ﷺ

وقبل زمانه ، وكان في الناحيتين أعني اليمن والشام من العرب الألوف المألَّفة ، بل اليمن كلها للعرب ، وغالب الشام كذلك ، وإن كان الملوك فيها الروم ، فملابس العرب في ذلك العصر متحدة أو متقاربة ، وهي خلاف ملابس الروم والقبط والترك وأشباههم ، فلا تشبث لمتشبث بلبسه ﷺ لتلك الملابس المذكورة ، وهدية الكرزية المذكورة في الإعتراض لا أعرفها ، ولا أعرف من ذكرها ، ولا أعرف الأثر الذي ذُكرت فيه ، وليت شعري ـ الكرزية ماهي ؟ وهل هي من ذوات الأكمام ؟ أم لا ؟ وما هذا الإسم أعربي أم لا ؟ ولو وجد ذكرها كذلك ، لما صح الإحتجاج بها ، حتى يصح نقلها عن النبي ﷺ ، وأنها من لباس الروم خاصة . وأنّى لكم بذلك ؟ وقولكم اللباس ليس من العبادات ، ولا من الإعتقاديات ، إنما هو من العادات ، جوابه ـ لو كان من الإعتقادات لزم الشرك والعياذ بالله ، وحيث كان من العادات كان الأمر فيه دون ذلك ، وقد ثبتت النصوص عن الله ورسوله ﷺ في النهي عن التشبه بالأعاجم ، وعن التشبه باليهود والنصارى ، وعن التشبه بمطلق الكفار في جميع أحوالهم جملة وتفصيلا .

أما المنع الإجمالي فهو قوله تعالى : «ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون» أي لا تكونوا مثلهم ، ولا تتبعوهم في أحوالهم ، وقوله تعالى : «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل». وهؤلاء القوم هم أسلاف اليهود والنصارى ، وصفهم الرب تعالى بالضلال والإضلال ، وأنهم

لا يتبعون أهواءهم ، وقوله تعالى : «إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين».

وقوله تعالى : «لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا. قد بدت البغضاء من أفواههم ، وماتخفي صدورهم أكبر» وقوله تعالى : «إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين» وقوله تعالى : «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم». في كثر من الآيات أمثالها ، وجميع مرشد الى مخالفة أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى.

ومن السنة قوله ﷺ في حديث حسن : «من تشبه بقوم فهو منهم» أخرجه أبو داؤد عن ابن عمر ، وقوله ﷺ في حديث صحيح : «خالفوا المشركين أحفوا الشوارب واوفروا اللحى». أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر ، وقوله ﷺ في حديث صحيح أيضا : «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم». أخرجه ابو داؤد ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في سننه عن شداد بن أوس ، فالأمر بالمخالفة في الحديثين يفيد اطلاق المنع من التشبة بهم ، فإنه وإن ذكر بعد الأمر بذلك حالة مخصوصة من إحفاء الشوارب وتوفير اللحى والصلاة في النعال ، فذكر ذلك يقتضي تقييد المخالفة به ، لأنه واقعة حال ، وهو من باب ذكر بعض مفردات المطلق للتبيين لا للتقييد ، لأن المذكور حكم معلل بالمخالفة ، فالمخالفة علة عامة ، وإحفاء الشوارب وما بعده بعض معلوماتها ، ويتأكد ذلك بالأحاديث الآتي ذكرها

قريبا إن شاء الله تعالى ، والصلاة بالنعال جائزة ، لكنها غير النعال المعروفة الا ن. بل تلك نعال كانت رقيقة جدا ، لا تفضل عن القدم طولا ولا عرضا ، لها شراك تمسك به القدم ، فهي لا تمنع سجودا ، ولا ترفع قدما، بخلاف نعال الناس اليوم ، وقد أنكر ابن جريج على عبدالله بن عمر أربعا كان يصنعها لم ير أصحابه يصنعونها ، فقال : يا أبا عبدالرحمن ـ رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها ، قال : وماهي ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليماني، ورأيتك تلبس النعال السبتية ، ورأيتك تصبغ بالصفره ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ، ولم تهلل إلا يوم التروية ، قال ابن عمر : اما الأركان فاني لم أر رسول الله ﷺ يمس منها إلا اليماني ، وأما النعال السبتية فإني رأيت رسوال الله ﷺ يلبسها ، وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها ، وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته.

والحديث عند الربيع في باب الإهلال بالحج ، إلا أنه لم يذكر اسم السائل ، والنعال السبتية ـ بكسر السين ـ المدبوغة وكانوا ينتعلون الجلد بشعره ، وبدون إزالة شعره من التنعم ، فلذلك أنكره السائل، ولذا كان مثل ابن عمر ينكر عليه مثل هذا الفعل حتى ذكر حجته في ذلك ، فما بالنا لا ننكر عليكم لباس النصارى .

وأما المنع التفصيلي فهو كثير ، نذكر منه ماتيسر منه شيئا فشيئا ، ونقدم مايخص اللباس ، فإنه محل النزاع، فمن ذلك حديث أبي

ريحانة عند أحمد وأبي داؤد والنسائي أن النبي ﷺ نهى عن عشر - (الوشر، والوشم ، والنتف، ومكامعة الرجل الرجل بغير شعار، ومكامعة المرأة المرأة بغير شعار، وأن يجعل الرجل في أسفل ثيابه حريرا مثل الأعاجم، وأن يجعل على منكبيه حريرا مثل الأعاجم، وعن النهبى ، ورحكوب النمور، ولبس الخاتم إلا لذي سلطان).

فقوله مثل الأعاجم - مصرح بأن النهي في ذلك لخوف التشبه بهم، والوشر بمعجمة وراء - معالجة الأسنان بما يحددها ويرق أطرافها ، والوشم - النقش وهو غرز الإبرة بجلده ثم يذر عليه مايخضره أو يسوده ، والنتف - هو النتف للشيب أو للشعر عند المصيبة أو تسوية الحاجبين للتزين، وهو النمص المذكور في حديث ابن عباس عند الربيع، والمكامعة بالعين المهملة - المضاجعة، والشعار - الحاجز بينهما ، والنهبى بالضم والقصر - بمعنى النهب وهو أخذ المال بغير حق ، والنمور سباع معروفة والمراد بركوبها - الركوب على جلودها ، وكانت الأعاجم تصنع ذلك فنهينا عن مشابهتهم ، وقوله لبس الخاتم إلا لذي سلطان أي لصاحب سلطة يحتاج الى الختم به ، وفي معناه كل من يحتاج إليه لذلك قد وردت أحاديث صحيحة في جواز لبسه لكل أحد ، فالتخصيص في الحكم منسوخ والله أعلم.

ومن ذلك حديث عبدالله بن عمر عند أحمد ومسلم والنسائي قال : رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال : «إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها» والمعصفر المصبوغ بالعصفر وهو الشوران ،

والحديث نص في المطلوب ، ومن ذلك عن أبي أُمامة قال : قلنا يارسول الله إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون ، فقال رسول الله ﷺ : (تسرولوا وأتزروا وخالفوا أهل الكتاب) رواه أحمد والطبراني ، ومن ذلك حديث ركانة عند أبي داؤد والترمذي أنه ﷺ قال : (فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس). وفي لفظ البارودي (العُمامة على القلنسوة فصل مابيننا وبين المشركين ، يعطى يوم القيامة بكل كورة يدورها على رأسه نور).

والقلنسوة بفتح القاف وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو، وقد تبدل ياء مثناه من تحت ، وقد تبدل ألفا فتفتح السين ، فيقال قلنساه ، غشاء مبطن يستر به الرأس ، والمعنى أن المشركين يلبسون القلانس بلا عمائم ، والمسلمون يلبسون عليها العمائم، فكان ذلك فرقا مطلوبا ، وأمرا محبوبا ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس عند الديلمي في مسند الفردوس : «العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضع الله عزهم» وفي حديث علي عند القضاعي والديلمي : «العمائم تيجان العرب ، والاحتباء حيطانها ، وجلوس المؤمن في المسجد رباطه» ومن ذلك مارواه الأربعة وأحمد والحاكم عن أبي هريرة أنه ﷺ نهى عن السدل في الصلاة ، وأن يغطي الرجل فاه ، قال في النهاية السدل أن يلتحف بثوبه ، ويدخل يديه من داخله فيركع ويسجد وهو كذلك ، قال : وكانت اليهود تفعله فنهوا عنه.

هذا ما حضرني ذكره في المقام من طلب مخالفتهم في اللباس ، وأما

طلبـهـا في غيره كثيرا ، ومنها ـ ماذكر القطب في شرح العقيدة . قال : روى الـطبراني عن النعمان بن بشير عن رسـول الله ﷺ : «إذا كـتب أحدكم إلى إنسان فليبدأ بنفسه ، وإذا كتب فليترب كتابه فهو أنجح» ، وذكـروا ان الأعـاجم تبـدأ باسم المكتـوب اليه ، قال أبو الليث : كان رسم المتـقدمين ـ أن الكاتب يبدأ بنفسه ـ من فلان الى فلان ، وبذلك جاءت الآثار.

وروى عن ابن عـمر انه كان إذا كتب إلى الخليفة بدأ بنفسه ، وكان عمر يكتب الى عماله ـ أن ابدأوا بأنفسكم .

وروى وكيع عن أبي داؤد عن عبدالله بن محمد بن سيرين أنه أراد سـفرا فقال له أبوه محمد بن سيرين : إذا كتبت لي كتابا فابدأ بنفسك ، فإنك ان بدأت بي لم أقرأ لك كتاباً.

وعن الربيع بن أنس ـ مـا كـان أحـد أعظم حرمة من النبي ﷺ ، وكـان أصـحـابه إذا كـتـبوا إليه بدأوا بأنفسهم ، قال ابن سيرين ان النبي ﷺ قـال :(أن أهل فـارس إذا كـتبوا بدأوا بعظمائهم وكبرائهم، فلا يبدأ الرجل إلا بنفسه).

ومنهـا مـا روى البـيـهقي في السنن عن جابر يرفعه : (لا تسلموا تسليم اليـهـود والنصارى فان تسليمهم إشارة بالكفوف والحواجب) فـهـذا يدل أن التـحـيـة الإسـلامية خلاف ماهم عليه . فهو نهى عن التشبه بهم في الحركات . ومن سلم تسليمهم لا يرد عليه.

ومنهـا مـا أخـرجـه الحـاكم في مستدركه ، والبيهقي في السنن من حـديث ابن عـمـر : نهى النبي ﷺ أن يجلس الرجل في الصـلاة وهو معتمد على يده اليسرى ، قال : (إنها صلاة اليهود).

ومنهـا مـا رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي عن معاوية قال : (نهى رسـول الله ﷺ عن ركوب النمار) وفي رواية : (النمور) وكلاهما جمع نمـر ، بفتح النون وكسر الميم، ويجوز التخفيف بكسر النون وسكون الميم ، وهو سـبع أخـبث وأجـرأ من الأسـد، وهو منقط الجلد ، نقط سـود ، وفـيـه شـبـه من الأسد، إلا أنه أصغر منه . وإنما نُهي عن استعمال جلوده ، لما فيها من الخيلاء، لأنه زيّ العجم ، وعموم النهي شامل للمذكّى وغيره.

ومنهـا مـا أخـرجـه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة قال : دخلت السـوق يومـا مع رسـول الله ﷺ فـجلس الى البزاز ، فاشترى سراويـل بأربعـة دراهم ، وكـان لأهل السـوق وزان يزن ، فـقـال له رسـول الله ﷺ : (أتـزن راجـحـا) ؟ قـال الـوزان : إن هـذه كـلـمـة مـاسـمـعتها من أحد، قال أبو هريرة ـ فقلت : كفى بك من الجفاء في دينك أن لا تعـرف نبـيك ، فطرح الميزان ووثب إلى يد رسول الله ﷺ يريد أن يقـبلهـا ، فـجـذب يده رسول الله ﷺ وقال له : (يا هذا إنما تفعل هذا الأعاجم بملوكها ، ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم)، فأخذ فوزن وأرجح ، وأخذ رسول الله ﷺ السراويل.

ومنها ما رواه أبو داؤد من حديث جابر قال : ركب رسول الله ﷺ فرسا بالمدينة ، فصرعه على جذع نخلة ، فانفكت قدمه ، فأتيناه نعوده ، فوجدناه في مشربة لعائشة، يسبح جالسا ، فقمنا خلفه ، فسكت عنا ، ثم أتيناه مرة أخرى نعوده ، فصلى المكتوبة جالسا ، فقمنا خلفه ، فأشار إلينا فقعدنا ، فلما قضى الصلاة قال : «إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً . وإذا صلى الإمام قائمًا فصلوا قياماً ، ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها).

ومنها ما أخرجه أبو داؤد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال الدين ظاهرا ماعجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون».

ومنها ما أخرجه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : (أن فصلا بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر).

ومنها ما رواه أحمد والبخاري ومسلم عن أبيٍ موسى قال : كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيداً ، فقال رسول الله ﷺ : (صوموه أنتم) وروى مسلم وأبو داؤد عن ابن عباس ـ لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا يارسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال : (إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع) ، قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي

رسول الله ﷺ وفي رواية عند أحمد ـ قال رسول الله ﷺ : «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ، صوموا قبله يوما وبعده يوما».

ومنها قوله تعالى : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) وكان النبي ﷺ يعجبه أن تكون قبلته الكعبة، سيّما لما بلغه أن اليهود قالوا ـ يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا ، وفي لفظ قالوا للمسلمين ـ لو لم نكن على هدى ماصليتم لقبلتنا واقتديتم بنا فيها، وفي لفظ ـ كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وكراهة لموافقة اليهود ، ولقول كفار قريش للمسلمين : لم تقولون نحن على دين ابراهيم ، وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود؟

ومنها ماوقع في السير عند ابتداء الأذان ، أنه ﷺ إئتمر هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة؟ فقيل له ـ انصب رأية عند حضور الصلاة . فإذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضا ، فلم يعجبه ذلك ، فذكر له بوق يهود وهو القرن الذي يدعون به لصلاتهم ، فيجتمعون لها عند سماع صوته ، فكرهه ﷺ وقال : (هو من أمر اليهود) فذكر له الناقوس الذي يدعون به النصارى لصلاتهم فقال : (هو من أمر النصارى) فقالوا له : لو رفعنا ناراً فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، فقال , (ذلك للمجوس) . وقال عمر : تبعثون رجلا ينادي بالصلاة ، ففعلوا ذلك ، وكان المنادي هو بلال رضي الله عنه ، وكان اللفظ الذي ينادي به بلال ـ الصلاة جامعة ، كما رواه

ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا ، وذلك قبل رؤيا عبدالله بن زيد الأنصاري صفة الأذان، فلما رآها وأخبر النبي ﷺ : قال : (إنها رؤيا حق فلقنها بلالاً فهو أندى منك صوتا) واستقر الأذان من يومئذ.

ومنها قوله تعالى : «يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله» وذلك أنها نزلت بخلاف أمر اليهود والنصارى في أمر الحيض ، أخرج غير واحد عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت ، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله : «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض» الآية ، فقال رسول الله ﷺ : (جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يارسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن وجد عليهما . فخرجا ، فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فسقاهما ، فعرفنا أنه لم يجد عليهما.

وفي رواية ـ أن اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، والنصارى كانوا يجامعون ولا يبالون بالحيض وأن

أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤآكلوها ولم يشاربوها ولم يجالوسها على فراش ، ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس، فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون بظاهر الآية فأخرجوهن من بيوتهن ، فقال أناس من الأعراب : البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ، وإن آثرناها هلكت الحيّض ، فقال عليه الصلاة والسلام : (إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ، ولم أمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم). فلما سمع اليهود ذلك قالوا : هذا الرجل يريد أن لا يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه ، ثم جاء عباد بن بشر وأسيد ابن حضير إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك وقالا : يارسول الله أفلا ننكحهن في المحيض ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه غضب عليهما ، فقاما ، فجاءته هدية من لبن ، فأرسل النبي ﷺ اليهما فسقاهما ، فعلمنا أنه لم يغضب عليهما.

ففي الأمر بمخالطتهن في البيوت مخالفة لليهود والمجوس ، وفي الأمر باعتزال مجامعتهن مخالفة للنصارى ، فكان هذا الأمر وسطا بين الإفراط والتفريط ، وهو سبيل الملة الحنيفية ، والشريعة المحمدية، وإنما قال الرجلان : أفلا ننكحهن في المحيض ؟ طلبا منهما لاستقصاء مخالفة اليهود حين رأوا أن ذلك يغيظهم ، وذهلوا أن فيه موافقة النصارى ، وكان المطلوب مخالفة الفريقين.

ومنها قوله تعالى : «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شيئتم»، فإنها نزلت بخلاف أمر اليهود في إتيان نسائهم.

أخرج أبو داؤد والحاكم عن ابن عباس قال : إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن ، مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب ، كانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم ، وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف ، وذلك أستر ماتكون المرأة ، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك ، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا ، ويتلذذون منهنّ مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك ، فأنكرته عليه وقالت : إنما كنا نُؤتى على حرف ، فسرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فأنزل الله «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شيئتم» أي ـ مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، يعني بذلك موضع الولد.

ومنها قوله ﷺ : (من لم يأخذ من شاربه فليس منا) رواه أحمد والنسائي ، والترمذي عن زيد بن أرقم، قال الترمذي : حديث صحيح، وروى أحمد ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :(جزوا الشوارب وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس) وروى أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر : (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) ، وروى ابن عساكر عن عمر : حلق القفا من غير حجامة مجوسية ، أي خصلة من خصال المجوس ، فحالق قفاه من غير أن يريد الحجامة متشبه بالمجوس، وقال أنس : سدل رسول الله

ﷺ ما شاء أن يسدل ، ثم فرق بعد ذلك ، وقيل إنه إنما فرق لمخالفة اليهود حين كانوا يسدلون.

ومنها ما أخرجه الجماعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمراد بذلك تغيير شدة بياض الشيب بصفرة ونحوها ، كما يدل عليه حديث ابن عمر وغيره.

هذا ماتيسر ذكره من مراشد الشرع الشريف الى مخالفة اليهود والنصارى والمجوس ونحوهم من جميع من خالف ملة الإسلام وشريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، فنحن الآخرون في الزمان ، الأولون في الفضل والمنزلة عند الرب ، فلا ينبغي لمن كان بهذه المثابة أن يتشبه بمن هو دونه في الرتبة ، وكفى بالإسلام شرفا وبمحمد ﷺ نبيا ، وبصحبه رضي الله عنهم سلفا.

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدتُ بأخمصي أطأُ الثريَّا

دخولي تحت قولك ياعبادي ... وأن صيَّرتَ أحمدَ لي نبيَّا

قال سبحانه وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى سراط مستقيم».

الفصل الثالث

في تعلم اللغة الأجنبية

في تعلم اللغة الأجنبية

وكنت قد نهيتهم عن ذلك إلا لقدر الضرورة كمترجم للملك ونحوه، مخافة أن يجرهم ذلك إلى إهمال العربية رأسا، وإلى انطماس رسومها بين ظهرانيهم ، فيصير العربي أعجميا كما هو المشاهد من أحوال المخالطين للأعاجم، وبترك العربية يتعذر فهم الكتاب والسنة ، فينسدُّ عليهم باب الفهم في ذلك ، ويحال بينهم وبين شريعتهم المطهرة، وأَبَوا إلا التمادي في تعلمها، من احتاج اليها ، ومن لم يحتج ، حتى استلذوا ذلك، وطبعوا عليه السنتهم، وانطبع في قلوبهم ، ووقعوا في المحذور، وجادلوا بالباطل.

قال المعترض المجادل: وأما تعليم اللغة الأجنبية أو تعلّمها، فأي شريعة تمنع ذلك ، إذا كان القصد نفس اللغة أو الكتابة، إذ الضرورة داعية اليهما الآن، ولاسيّما بهذا الطرف، لأن المحاكم والمعشرات بأيديهم. ولا يتوصل إلى شيء من هذه الأشياء إلى مايطلبه الانسان من حقوقه إلا بعد النصب . وذهاب شطر ماله إذا كان لا يعرف هذه اللغة الأجنبية، أوَ ليس كان لرسول الله ﷺ مترجما يهوديا بالعبرانية؟ ثم اختار أشخاصا من رجاله ليتعلموا تلك اللغة، فلما ضبطوها اكتفى بهم ، أمّا في هذا الأمر ما يدلّ على الجواز؟ إن لم نقل بوجوب تعليم هذه اللغة. فحينئذ على ماذا النزاع والتشديد في غير

مقام؟ وأمّا ما يتوهّمه البعض منّا من أنه سينجر به التعليم إلى الشرك بالله ، فهذه أوهام لا طائل تحتها ، أوَ ليس الشمّاخي سعيد بن قاسم والسيد مصطفى وأضرابهما عالمين بلغة الإنجليز وفرنسا وهما أجل الأصحاب؟ وجوابه أن هذا التشديد لسلامة دينكم ودنياكم ، وحفظ شرفكم وشرف آبائكم ، وصيانة لسانكم الذي هو أشرف الألسنة من الذهاب ، وبذهابه يحال بينكم وبين فهم ما جاء به نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكفى بهذا مصيبة لمن عقل! أين العقول معشر الرجال، وقد استثنيتُ قدر الضرورة، فالمنع واقع على ما فوقها، وهو الذي يقتضيه استدلالكم الباطل ، لو صح في قولكم - أوَ ليس كان لرسول الله ﷺ مترجما يهوديا بالعبرانية؟ إلى آخره، وهو كلام باطل من أصله ، ولا نعرف من ذكره قبل كلامكم هذا ، والموجود أن زيد بن ثابت كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، وكانت تَردُ على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية، فأمر زيدا فتعلمها ، كذا في أسد الغابة ، وقال في السيرة الحلبية : قال زيد بن ثابت : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم بالسريانية، قال : (إني لا آمن يهود على كتابي) ، فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه، فكنت اكتب له ﷺ إليهم وأقرأ له كتبهم . فهذا شخص واحد لا أشخاص متعددة، قد اكتفى به رسول الله ﷺ في بيان السريانية لا العبرانية، وكان اللازم على مقتضى استنباطكم من استدلالكم الباطل أن يندفع جلّ الصحابة أو كلهم في تعلم لغات الأجانب الذين خالطوهم في أيام

ظهورهم ، وأول ذلك اليهود بالمدينة ، والروم بالشام ، والفرس بالعراق، والقبط بمصر . وهيهات ما كان ذلك من همتهم ، وما كانوا يتداولونها نقلا بالألسن الفصحية الصحيحة ، فلما خافوا عليها الإعوجاج من مخالطة مثل هؤلاء الذين اندفعتم أنتم في تعلم لغاتهم ، أمروا بإيداعها الدفاتر، بعد المبالغة في الإنكار على من حرَّف.

فهذا سبيل من كان قبلكم من سلفكم الصالح ، في شرفهم العالي ، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : (من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق)، رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عمر ، فهذا نص يقتضي منع التكلم بالفارسية لمن كان يحسن التكلم بالعربية، فما ظنك بمن كانت العربية سليقته ، ثم ينحرف عنها إلى تعلم الفارسية ، ويجعلها طريقته الجادة في جميع مخاطباته ، ولا يرجع إلى العربية إلا اضطراراً ، فسبله في العربية ، سبل أسلافه في الفارسية، فأين الفرق؟ وهيهات الإجتماع.

أيها المنكح الثريا سُهيلا عمرك الله ، كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما تبدَّت وسهيلٌ إذا ماتبدَّا يماني

وقوله : (يورث النفاق) أي ـ يكون التكلم بها من غير ضرر سبب النفاق ، والعياذ بالله ، وذلك كالإفضاء إلى محبة أهل الفارسية، والبغض لأهل العربية ، وقيل ان التكلم بها من غير ضرورة بنفسه نفاق ، وذلك حيث آثرها على العربية، وقولكم ـ أوَ ليس الشماخي

سعيد بن قاسم والسيد مصطفى وأضرابهما عالمين بلغة انجليز وفرنسا وهما أجل الأصحاب؟

إن كان المراد بالشماخي العالم الموجود الآن بمصر، قرين السيد مصطفى ، فالرجل قاسم بن سعيد لا العكس ، ولا أعرف حقيقة معرفتهما باللغتين، وهبْ أنهما يعرفانها ، فماذا؟وهل تسوغ لكم معرفة ما كان ممنوعا عليكم في ذلك ؟ فهم أعلم بحالهم ، وهذه اللغات لا نمنعها من حيث ذاتها ، فإن على كل لغة جيلا من الناس لا يضيق عليهم التكلم بلغتهم ، ويكتفى بالمعاملات والإقرارات ونحوها أن يتكلموا بلغتهم ، حتى ذكر اسم الله على الذبيحة ، وإنما نمنع أمثالكم ، من اختيار غير لسانكم لغير ضرورة ، وهذا النبراس الذي اتفق على مراشده الشيخان المذكوران، ينادي بصوت حزين على إطراح العربية، وإيثارها سواها . قال في العدد التاسع منه في صفحة تسعة وسبعين في استلفات ولي عهد الخليفة لدرك اللغة العربية الشريفة : السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد ـ فإنا ننصح إليك ياسيدنا رشاد أفندي أن تستجمع عنايتك ، وتكذ بمجامع فكرتك في تحصيل اللغة العربية دون غيرها من اللغات، لتتوصل بها إلى معرفة أسرار الدين ، وفقه معاني التنزيل ، فلا تحتاج في تصرفاتك إلى مترجمين خائنين، لأنها نقيصة شائنة، ومذلة في الدين واضحة باينة، فقد بلغنا أن العامل العظيم من الأتراك إنما هو الذي يحرز العديد من اللغات الأعجمية ، ولا عار عليه في جهله اللغة العربية ، ولذلك فإنهم

لم يتذوقوا طعم الإيمان ولم يتلذذوا بثمرات القرآن ، فهم بذلك أعضاء أشداء تسامح لهم القدر في السيادة على المسلمين بلا استحقاق ، وتقذروا موقف العيد، وأنِفُوا من كلمة التوحيد، لأن كلمة التوحيد لا تنفع إلا بعد الإمتناع عن الشبهات،والإمتناع عن الشبهات لا ينفع إلا بالورع ، وأهل الورع لا يأكلون إلا ماحصدوا ، ولا يحصدون إلا مازرعوا من حلال ، ورجال لوائكم المنصور - إلاّ مَنْ رحم ربي - قد حركوا من نشاط البِطنة ، وهمة الفرج على أرائك القصور ، ماتجاوزوا به حد الإعتدال من ارتكاب الفضائع في بيع البلاد ، واتخاذ عباد الله خولا ، ومال الله دُولاً، وتطرق الحرص على هذا التَّرف في أخلاقهم ، ونشأ عن ذلك مالا يمكن اجتنابه إلا بطردهم من تلك المناصر ، أو تحل عليهم قارعة من قوارع السماء وهم على أغفل مايكونون ، لأن الفطام عن المألوف ، وكذلك العرب الملتفون حولكم قد يظهر أنهم نسوا العربية وأصبحوا أعجاما يسخرون منها ، لا يختلفون في مشاربهم وأخلاقهم عن أولئك الموصوفين ، فالله سائلهم طويلا.

وينقسم رجال لوائكم المنصور ياسيدنا رشاد أفندي إلى فريقين ، فريق شرعي وفريق سياسي ، أما الفريق الشرعي ، فهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «أخوف ما أخاف عليكم من رجل يقول بما تقولون، ويفعل ماتنكرون» ، أو كما قال صلوات الله عليه : «فأفعال هذا الفريق إنما جاءت برمتها رمدا لجفن الدين ، وليس لله في علمهم شيء ولهم من الوعيد ما يسبقون به عبدة الأوثان» ، وأما الفريق السياسي

فهو الذي أساء إلى نفسه ، وأهمل مايجب عليه في ضبط شأنه ، ومن كان لنفسه ظالما ، كان لغيره أظلم ، وقد وجدنا في سياستهم مطعنا ، وانتهينا إلى معرفة أسبابه وهي تغيُّبهم ظل النفس والهوى، فطاب لهم المقام ، في منازل الجسمانية ، والمعالم الظلمانية، التى تناهت بهم إلى ماتراه الآن من الفتنة العمياء الصماء البكماء، التي لا تسمع لناعق لها ، ولا تنساق لقائدها، فلا يرجى الحق أن يطلُب فيهم ضالته ، ولا للصواب أن يُصيب نشدته، فالله الله ياسيدنا رشاد أفندي في اللغة العربية التي أنتم أولياءها ، ولا يسدد أمركم إلا بها ، لأنها لغة مورثكم النيابة المقدسة ، ولا يصلح شأنكم إلا بها لأنها لغة القرآن ، والله تعالى يقول : «وذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد» فإذا خفت الوعيد ياابن عبد المجيد قرة عين أهل التوحيد، عدلت وأنصفت المظلوم ، وآويت المضطهد، وأغثت الملهوف، وأعنت الطالب ، وسددت أمر المسترشد ، وأعطيت الفقير ، ورحمت الكبير، واحترمت أهل الطاعة فدخلت الجنة ، فإذا لغتها العربية ، وأعلم أن رعيتك فريقان ، فريق عام أهل الشعب ، فهو موضوع السيف ، وفريق خاص أولوا التوفيق وهو موضوع القرآن ، لأن العامي يرى السيف فيرتدع . والخاصي يرى الحق فيتبع ، فإذا تعلمت العربية وعرفت غرض التنزيل، وكان في علم الله تعالى أن تكون خليفة بعد أخيك - الرجل الأجل الصالح أطال الله أيامه ، ونال الحق منه آماله - تسنُّى للمسلمين كافة أن يطمعوا في فضلك، وصدق عليك قول الله تعالى : «وجعلناهم أئمة

يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» والسلام عليك وعلى أخيك سيدنا المطاع وآل جمعكم الأخصاء ورحمة الله ، وأدام الله من فضله لكم العز والسيادة ، والشوكة والإجادة ، والنفوذ والسلطان مدا الأزمان.

هذا كلام السيد مصطفى بن إسماعيل في النبراس ، أوردته بأسره، لما أودعه من حسن المراشد ، وله في الهدية الإسلامية كلام استقصى فيه آفات اللغة الأجنبية ، من انجليزية وفرنساوية وأن من آفاتها تغير أخلاق المسلمين ، وتهاون أمر الدين ، وتلوثهم بأخلاق هؤلاء المردة الشياطين ، واسترسالهم مع شنيع القبائح ، وقبيح الفضائح، واستيلاء أعدائهم عليهم، وتمكنهم من قلوبهم وأجسامهم ، ولا ينبئك مثل خبير ، فإن أحببت الإطلاع على آفات الأوقات ، من هذه اللغات وغيرها من التعليمات والمكائد ، التي نصبها للمسليمن اعداء الدين ، فعليك بقراءة الهدية الكلاميه من أولها إلى آخرها ، تجد كل الصيد في جوف الفرا، وكذلك ينبغى الإطلاع على مقاصد النبراس، والالتفات إلى مراشده فإنها النصائح البليغة ، والعضات الكاملة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الفصل الرابع

في حلق اللحى

في حلق اللحى

وقد وافقنا المعترض على منعه ، إن حالق اللحية قد نشر بيرق النفاق على رؤوس الأشهاد ، فلا كلام فيه ، لأنه فرغ من الحكم فيه ، صرح الأثر بقاص اللحية أنه فاعل كبيرة ، فالحالق أولى منه.

لكن غيره ممن كان على شاكلته من أهل ناحيته قد جادل في ذلك فأرسل سؤالا نصه : هل حلق اللحى وغلفها من كبير الذنوب ؟ أم من صغيرها؟ فإن كان منهما أو من أحدهما فهل من دليل من الكتاب والسنة ؟ أو من السنة وحدها ؟ آتونابه ، والا فلمُ تحرمونا المباح لنا من غير إيضاح ؟ أليس لنا أن نتزين لنسائنا ونتصنّع ؟ ألسنا مأمورين بالنظافة والطهارة كتقليم الأظافر وحلق الشعور التي في الصدور؟

فأجبته بما نصه :

ماكنت أحسب أن يمتدَّ بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

ما رأيت عجبا كاليوم ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، كيف يطلب الدليل على شيء علم من الدين بالضرورة؟

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ما مثلك في قولك هذا إلا مثل من ينكر الشمس رابعة النهار، ويقول

آتني بدليل على طلوعها ، فهذه الأمة المحمدية اجتمعت على توفير اللحى، إجماعا كاد أن لا يشابهه غيره، لما عرفوا من ثبوت ذلك عن نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام، وكانت العرب في جاهليتها تحترم اللحى أي احترام ، وأنتم في إسلامكم قد أهنتموها كل الإهانة ، ألا إن جزها من الكبائر، لأنه من خصال المشركين من الأعاجم ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر يرفعه : (خالفوا المشركين ـ جزوا الشوارب ووفروا اللحى) ومن حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ أمر : (بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى) ومعنى إعفائها توفيرها ، أي ـ تجعل وافرة لا يقطع منها شيء فقطعها منهي عنه ، وجز الشوارب وحلق العانة وتقليم الأظفار مأمور به ، ولا يصح أن يقاس ما كان منهيا عنه على ما كان مأمورا به ، فمن قاس ذلك فقد خالف محمدا ﷺ جهاراً . واتبع إبليس في قياسه الفاسد في تفضيل نفسه على آدم، ولا ينفعكم التعلل بأن في قطعها زينة للنساء، فهذا رسول الله ﷺ قال : (لعن الله النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتفلجات للحسن) رواه الربيع رحمة الله عليه من طريق ابن عباس ، قال الربيع : النامصة التي تأخذ من شعرها ليكون رقيقا معتدلا ، والمتنمصة التى تفعل بها ذلك ، والواصلة التى توصل شعر رأسها ليقال أنه طويل ، والمستوصلة التى تفعل بها ذلك ، والواشمة التى تجعل الوشم في وجهها أو في ذراعها ، والمستوشمة التى تفعل بها ذلك ، والمتفلجات اللاتي يفلجن

مـابـين أسنانهن للجمال ، وهذه الأصناف من النسـاء ثبـتت عليـهن اللعنة من الله تعالى على لسان محمد ﷺ ،وهن إنما فعلن ذلك للجمال والحـسن ، ومن المعلوم أن كل واحد من هذه الأفعال دون جز اللحى، على أن في جـزها تشبها بالمشريكن من الأعاجم أشباه البانيان وبعض الأعـاجم ، لا يرضى ذلك كـالفـرنسيين ، وفيه أيضا تشبه بالنساء ، وقـد جـاء اللعن للمتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال ، والعلم عند الله.

الفصل الخامـــس

في السبب الذي دخل النصارى بلاد الإسلام

في السبب الذي دخل النصارى بلاد الإسلام

ذكر المعترض مايقتضي : أن سبب ذلك فرار بقية أهل الدين بدينهم ـ وعميت بصيرته عن موجوب ذلك ، وما علم أن السبب الأعظم انخماد همم الملوك وضلالهم عن السبيل ، واتباعهم الشهوات ، وتعطيلهم الحدود ، وتضييعهم الأحكام، وتقديمهم السياسة النصرانية على السياسة الشرعية ، واختيارهم الهوى على الحق ، والظلم على العدل ، والدنيا على الآخرة.

فقال مانصه : وأما التداخل عند المشركين كتداخل الزنجبارين لا يقدرون أن يمتنعوا ، لأن أزمَّة أمور زنجبار بأيدي المشركين ودواعي الإمتحان دائرة في كل حين ، وماذاك إلا لامتناع الفضلاء من تولية الحكم عند هذه الدولة ، حتى انقاد الأمر إليهم ، وأحاجوا الناس إلى التداخل ، زعما منهم أنه غير جائز ، فهذا الآن الواقع علينا بسبب التخاذل.

وجوابه ـ لو تدري ماقلت في هذه الكلمات لأكثرت الزفرات ، وأطلت العبرات ، كيف تقول ـ زعما منهم أنه غير جائز كأنك المكذب بذلك ، ونصوص الكتاب والسنة القاطعات تمنعنا من معاونتهم على ظلمهم ، ولو بأقل قليل ، والجهل آفة ، ولولا أن الكلام يخرج بناعن المقصود لبسطنا الأدلّة على منع الظلم والمعاونة عليه ، وحسبك الآن

قوله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» ، وقد لمت أنت الفضلاء بما أثنى الله به عليهم في كتابه العزيز ، ودعوتهم الى فعل ذم الله الداخل فيه ، فهذا مؤمن آل فرعون، بسط الله الثناء عليه في سورة مؤمن بما لم يذكره لأحد من الأولياء ، حتى نسبت السورة إليه من طول الثناء عليه ، وهو فرد واحد ، قد خالف فرعون وقومه ولم يتبعهم في طريقهم ، وفوض أمره إلى الله ، فوقاه الله سيئات مامكروا ، وذلك الجمع الكثير أتباع فرعون ، قد ذمهم الله على متابعته بأقبح ذم في قوله عز من قائل : «فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين» وذلك الرجل وهو صاحب يس، رجل مفرد جاء من أقصى المدينة يسعى إلى ذلك الجم الكثير يقول لهم : «ياقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون» إلى آخر ماقص الله عنه وعن قومه وعن نجاته وعن هلاكهم ، وتلك الفئة من أصحاب الكهف ، وهم نفر قليل ربي أعلم بعدتهم ، خالفوا جميع قومهم ، وفروا عن ملكهم ، وذكر الله قصتهم في الكهف ، وأثنى عليهم ، ورزقهم الكرامة الدائمة، والسعادة الأبدية ، وذكر قومهم بعكس ذلك.

ولو عقلت أيها المعترض المجادل عن الذين يختانون أنفسهم لعلمت العلم اليقين ـ أن الآفة إنما جاءت من قبل هؤلاء ، الذين عيَّرت أنت الفضلاء على النفرة عنهم ، فإنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وتبدلوا بقراءة القرآن المزامير وبالذكر اللهو والطرب.

ولا عجبٌ إن ثل عرش ممالك قوائمه عود ودف ومزمر

والعجب منك كيف لم توجه العتاب إليهم وأنت تعلم أن صلاح الرعية بصلاح ملكها ، لأنه كالروح وهم مثل الجسد ، وهو كالعقل وهم كسائر الحواس ، وهو كالرأس وهم كسائر الاعضاء، وهو في العالم كالشمس وهم كسائر النبات والحيوانات صلاحها منوط بوجود الشمس ، فحيث لا توجد الشمس لا يوجد النبات ولا الحيوانات لفرط البرودة ـ وقال الحكماء : الناس تبع لإمامهم في الخير والشر ، وقال أبو حازم الأعرج : الإمام سوق ، فما نفق عنده جلب إليه.

ولما أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه قال : إن الذي أدّى هذا لأمين ، قال له رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون إليك ماأديت لله فلما رتعت رتعوا.

ومن أمثالهم في هذا قولهم : إذا صلحت العين صلحت سواقيها ، وقال الأصمعي : صنفان إذا صلحا صلح الناس ـ الأمراء والفقهاء.

واطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئا ، فقال لوكيله : ويحك إني لأظنك تخونني ، قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه ، قال : وتفعل ! قال : نعم والله إني لأخونك وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله ، فلعن الله أشر الثلاثة ، وكان مروان يومئذ عاملا لمعاوية على المدينة بينما المنصور في

الطواف بالبيت ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فجزع المنصور فجلس بناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل ، فصلى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض ، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني ، فقال : إن أمنتني ياأمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجرت منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل ، قال : فأنت آمن على نفسك فقل ، فقال : ياأمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ماظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت، فقال : ويحك يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي ، قال : وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك، إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد ، وحراسا معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها ، وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان ، نفرا سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري إليك ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رأى هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك ، تجبي الأموال وتجمعها ، قالوا : قد خان الله فما لنا

لا نخونه ، فأتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل إلا خونوه عندك ونفوه، حتى تسقط منزلته عندك ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعهم عاملك بالهدايا والأموال، ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذووا المقدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلمًا وبغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك، وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مطالبهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ، فإذا أجهد وأخرج ، ثم ظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما تنكر، فما بقاء الإسلام ،

وقد كنتُ ياأمير المؤمنين أسافر إلى الصين ، فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه ، وبكى بكاءاً شديداً ، وحثه جلساؤه على الصبر، فقال : أما إني لست أبكي بالبلية النازلة ، ولكني أبكي المظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما وقد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب ، نادوا في الناس ـ أن لا يلبس ثوبا أحمرا إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل طرفي النهار ، وينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا

أمير المؤمنين مشرك بالله ، بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فإن كنت إنما تجمع الأموال لولدك ، فقد أراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن أمه ، ماله على الأرض مال ، وما من مال إلا دونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الله له ، ولست الذي تعطي ، بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء، فإن قلت إنما تجمع المال لشديد السلطان ، فقد أراك الله عبرا في بني أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله مافوق ماأنت عليه ياأمير المؤمنين ، هل يعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ فقال المنصور : لا ، فقال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا ؟ وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ، ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد يرى ماعقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت إليه رجلاك ، هل يغني عنك ماشححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ قال : فبكى المنصور ثم قال : ليتني لم أخلق ، ويحك كيف أحتال لنفسي ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم ، ويرضون بهم في دنياهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدونك ، وشاورهم في امرك يسددوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني . قال : خافوك أن

تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات على حلها ، وأقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك يساعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون فأذنوه بالصلاة ، فصلى ، وعاد الى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

الفصل السادس

في الحث على التناصر والتوازر والأستعداد للعدو بما يستطاع من قوة والتنبيه على غوائله

وقد أحسن ذلك المعترض في بعض ما أورده في هذا الموضع ، وأساء في بعض ، وجملة قوله بنص حروفه : فياسيدي كان الله في عونكم ، أصلحوا ذات بينكم ، وكونوا على رأي واحد ، واستعدوا للعدو ما استطعتم من المقذوفات الجهنمية ، كهذه المدافع السريعة الطلقات والدناميت والبرانيق وغيرها، فالعدو إليكم مقبل ، أو ليس احتل البادري أي ـ القسيس ببلد نخل ، يبني ويشيد، وعن قريب سيرفع الصليب على رؤوسهم ، ولا يقدرون على مدافعته، وأهل نخل كأنهم لا علم لهم بشيء ، فهم رجال يقتلون وينهبون جيرانهم وإخوانهم في الدين والمذهب والوطن والجنس ، وأيديهم عن هذا القسيس قاصرة ، وقد علموا أنه إذا حل بمكان ينتج منه الضرر ، ولكن رأوا خلفه دولة لها صولة وبطش شديد، فلهذا تقهقروا ، أو ليس الإنجليز الطالب أن يبني في جبل على كسفة عيني من الرستاق ؟ أو ليس هو المكتشف على عمان قرية بعد قرية ؟ وبأيديه قراطيس يسب فيها محمدا ﷺ ودينه ، حتى عمل جغرافيا لطرق قرى عمان ، كيلا يحتاج أحد إلى دليل ، أو ليس بولجات مسقط منع مؤذنه عن الأذان فيه ؟ وآخر هناك أيضا هدت أركانه ، أو ليس ؟ أو ليس ؟ فكم أعد؟ فياسيدي ـ عمان بل بلاد العرب قسمها بيرق الشرك ، ولا بد من كل أحد أن يأخذ نصيبه ، إذ لو منعتم من الرصاص أو القمع والإبر لتعطلتم ، أما هذا التواني والحال على التعليم مساعف؟ أما هذا الخمول والأخبار تتواتر عن هذه الأمم البارزة بالقهر والعدوان ظلما

وجورا قاضية ؟ أما تكفي الوقائع في غيركم ؟ تنبهوا يامسلمون من هذه الغفلة ، وكونوا على حذر ، وشدوا أيديكم بهذه الصنائع الجديدة، والعلوم العصرية ، فإذا دعى الداعي فأنتم على أمن أما عمان فحياة فيصل وبعده سترون مايكون ! إنا لله وإنا إليه راجعون!

هذا كلامه ، وقد أحسن في التحذير ، لكنه أساء في التعبير، وذلك قوله : ولابد من كل أحد أن يأخذ نصيبه ، وفيصل وإن أحسن المدافعة الخطابية ، فقد أهمل أسباب الحزم ، باطراحه عوامل العدل ، وإلقائه العداوة والبغضاء بين رعيته ، وإغفاله عن استعمال الصنائع المذكورة والآلات المعدودة ، وليته جمع الشمل ، وألف بين الرعية ، واستعمل التقوى في جميع تصرفاته ، فهي الحصن الذي لا يرام ، والسيف الذي لا يفل ، وماقهر أسلافكم ملوك الأكاسرة والقياصرة بكثرة عَدٍّ ولا قوة عُدَد، وإنما قهروهم باستعمال التقوى ، وحسن الصبر، وقوة اليقين ، فلو تمسكتم بسيرتهم ظفرتم بما ظفروا . وأذكر لك قطعة من كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله على حروب الفرس سعد بن أبي وقاص، ومن معه من الأجناد ، قال رضي الله عنه : أما بعد ـ فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولو لا

ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله ، يعلمون ماتفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بماعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فلن يسلط الله علينا ، فربما قوم سُلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني إسرائيل لماً عملوا بما أسخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم.

إلى آخر ما أودعه من النصيحة البليغة ، والسياسة العميقة ، ومصداق ذلك في قوله عز من قائل : «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» فهذه عدة من كان قبلكم ، مقدمة عندهم على كل عدة ، ثم بعد ذلك يعدون لعدوهم ماستطاعوا من قوة.

وهذه صفتهم في كتاب كتبه خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس مع ابن نُفيلة الغساني ، قال رضي الله عنه : الحمد لله ، فض الله حرمتكم، وفض جمعكم ، وأوهى بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرهن ، واعتقدوا منا الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية ، وإلا والله الذي لا إله إلا هو ، لأسيرنّ إليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا.

وكان خالد يومئذ أميراً لأبي بكر رضي الله عنه على حرب العراق ، وهو الذي أوقع بالفرس الوقعة العظيمة في الأنبار ، قيل ـ أنه قتل فيها من الفرس مائة الف ، وكان ذلك قبل أن يتولى حروب الشام ، فبهذه الصفات اتصفوا ، وبهذه الأحوال تواصوا ، «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» «ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب» «وما كان الله ليطلعكم على الغيب».

وما ذكرت من أمر النصارى في عمان ، وتكشفهم على القرى والبلدان ، وما حاولوا في ذلك سن البنيان ، ومن هدم المسجد ، وتعطيل الأذان ، ومن سب خير البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ، فذلك أمر فضيع ، وحال شنيع لو وقع ، نسأل الله العافية، ما سمعنا به قبل كتابك ، فإن صح ذلك فلعله وقع في الأطراف الغربية ، أما السب فما أظن وقوعه ، لأن الأجانب لا يدخلون عمان إلا بخفر من المسلمين ، ولحاجتهم إلى ذلك يحترمون صاحبهم ، فلا يذكرون عنده مايكره وللقوم دهاء هائل ، والعجب منك كيف تذكر ذلك لنا وتدع الملك ، فهو أولى بالتنبيه في ذلك وبيده أزمّة الأمور ، فلو استقام استقمنا ، ولو طلب المناصرة ناصرنا ، فالله المستعان ، وكأنك قد خشيت على عمان من العدو المقبل ، وحق على كل مؤمن أن يخشى ذلك ، غير أن قلوبنا وإن خافت من شؤم ذنوبنا ، ساكنة مطمئنة إلى إجابة ربنا لدعوة نبيه لنا أن لا يسلط علينا عدوا من غيرنا ، فإنا نجد في التواريخ المكنونة ، والأخبار المصونة أن مازن بين غضوبة الطائي

السمائلي وكان أول من أسلم من أهل عمان ، فيما يظهر من سياق التاريخ ، وقد وفد على النبي ﷺ في أول أمره بالمدينة، فأسلم على يديه وقال : يارسول الله ادع الله تعالى لأهل عمان ، فقال : (اللهم اهدهم وأثبهم) ، فقلت ـ زدني يارسول الله ، فقال ؛ (اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم) ، قلت ـ يارسول الله البحر ينضج بجانبنا ، ادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا ، قال : (اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم، قلت ـ زدني ، قال : (اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم ، قل يامازن آمين فإن آمين يستجاب عندها الدعاء)، قال : قلت آمين ، قال : قلت يارسول الله إني مولع بالطرب وبشرب الخمر، لجوج بالنساء، وقد ذهب أكثر مالي في هذا ، وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ماأجد، ويهب لي ولداً تقربه عيني ويأتينا بالحياة، فقال النبي ﷺ : (اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال، وبالعهر عفة الفرج، وبالخمر ريًّا لا إثم فيه ، وآتهم بالحيا وهب له ولدا)، قال مازن : فأذهب الله عني ماكنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب ، وحججت حججا ، وحفظت شطر القرآن وتزوجت أربع عقائل من العرب، ورزقت ولداً سميته حيان بن مازن ، وأخصبت عمان في تلك السنة وما بعدها ، وأقبل عليهم الخف والظلف ، وكثر صيد البحر، وظهرت الأرباح في التجارات، وآمن عدد من أهل عمان ، ولمازن في ذلك شعر حيث يقول:

إليك رسول الله حنت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

لتشفع لي ياخير من وطىء الحصى ... فيغفر لي ربي وأرجع بالفلج

إلى معشر خالفت في الله دينهم ... فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي

وكنت امرءا باللهو والخمر مولعا ... شبابيَ حتى آذن الجسم بالنهج

فبدلني بالخمر خوفا وخشية ... وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي

فأصبح همي في الجهاد ونيتي ... فلله ماصومي ولله ماحجي

قال مازن : فلما كان في العام القابل ، وفدت على رسول الله ﷺ فقلت ـ ياالمبارك بن المباركين ، الطيب بن الطيبين ـ قد هدى الله قوما من أهل عمان ، ومنَّ عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصبا هنيئا ، وكثرت الأرباح والصيد بها، فقال عليه السلام : (ديني دين الإسلام ، سيزيد الله أهل عمان خصبا وصيدا فطوبى لمن آمن بي ورآني ، وطوبى لمن آمن بي ولم يراني ولم ير من رآني ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما).

هذا حديث مازن المكنون المصون ، ومازال أثر الإجابة ظاهرا على عمان وأهلها ، فلم ينزع الله أمرهم من أيديهم على اختلاف الدول وتعدد القرون ، فظهرت فيها قوة الإسلام ، ونصبت الأئمة العادلون. الذين هم من أمثال أبي بكر وعمر فضلا وسياسة لولا مافضل الله به العمرين من صحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، وقد دخلت النصارى أكثر من هذا التدخل قبل ظهور الأمام المؤيد ناصر بن مرشد رضي الله عنه ، فملكوا من سواحل البحر مسقطا وقريات وصور ، وجانبا من صحار ، وجلفار

وهي ـ الصير ، فأزال الله أمر أولئك النصارى قبل أن يتسلطوا على أهل عمان ، بظهور ذلك الإمام العادل ، ثم تتابعت خلفاؤه الراشدون فبذلوا المجهود في مطاردة النصارى ، فأزاحوهم من الأماكن القريبة ، وطلبوهم من النواحي البعيدة ، ورصودوا لهم كل مرصد، وضيقوا عليهم المسالك، فانطمس ذكرهم ، وانقشع أمرهم ، وبلغت قوة الإسلام في تلك الأيام أن اجتمعت في الجيش الذي دخل به الإمام سيف بن سلطان أرض (الهند) ستة وتسعون ألف عنان ، فهذا ونحوه من بركة دعوة محمد ﷺ وهو يطمعنا في القوة بعد الضعف ، وفي الإجتماع بعد الفرقة، وفي الظهور بعد الكتمان ، يامن يحيي العظام وهي رميم ، أحي القلوب بعد موتها ، وافتح البصائر ، وأيقض الهمم ، وقوّ العزائم واجمع الشمل ، ووحد الكلمة ، وأظهر الأمر ، وانصر الدين آمين رب العالمين.

الخاتمة
فيها تنبيهات

الأول ـ في التحذير من مطبوعات النصارى ونحوها ـ قال النبهاني : في بيروت مطبعة للرهبان اليوسعيين ، طبعوا فيها كثيرا من الكتب والجوامع الأدبية ، التي جمعوها من كتب المسلمين ، ولكنهم لعدم أمانتهم في النقل، أزالوا من الكتب التي نقلوا منها ، العبارات التي فيها تأييد لدين الإسلام ، وتعظيم لرسول الله ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فمن ذلك أنهم طبعوا كتاب (فقه اللغة)، فأزالوا خطبته بالكلية، بما فيها من تعظيم الحضرة المحمدية، عليه من الله أفضل صلاة وأكمل تحية.

ومن ذلك أنهم طبعوا الكتاب (الألفاظ الكتابية) فغيروا وبدلوا في عباراته في محلات كثيرة ، فإذا قال : كما قال الله تعالى ، يغيرون عبارته بقولهم : كما قال القائل ، أو كما قيل ، وهكذا ، وجمعوا مجموعا كبيرا عدة أجزاء ، أكثرها من كتب المسلمين ، وحذفوا من عباراتهم ما يتعلق بتعظيم دين الإسلام ، وتفخيم حبيب الرحمن ، سيدنا محمد ﷺ ، بل أبدلوا في بعض الأحيان عبارات ـ علماء المسلمين الصحيحة المليحة ، بعباراتهم الفاسدة القبيحة ، وذلك فيما يتعلق بشؤون سيد المرسلين ، ودينه المبين ، وصلى الله عليه وعلى

آله وصحبه أجمعين . قال : فأنا أحذر جميع المسلمين من الكتب المطبوعة في المطبعة اليسوعية في بيروت، ولو كانت من كتب وتآليف المسلمين ، فضلا عن مجاميعهم التي جمعوها وطبعوها ، مثل المجموع الذي سموه (مجاني الأدب) في عدة أجزاء ، فإنهم لا أمانة لهم في النقل ، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويمزجون مضاره بمنافعه، ويضعون السم في الدسم ، ويبدلون الصحة بالسقم ، فإياك أيها المسلم أن تشتري شيئا من كتبهم ، فإني والله ماأخبرتك إلا عن علم ويقين ، لا عن ظن وتخمين ، وإذا رأيت بعض التقاريض ، باسم بعض علماء المسلمين على بعض كتبهم ، فلا تعبأ بها ، فإنهم إذا ثبت تصرفهم في نفس تلك الكتب ، بالتحريف والتبديل ، وحذف مالا يوافق مذهبهم ، وإثبات مايوافقه ، وإن خالف دين صاحب ذلك الكتاب ، فما يمنعم من التصرف في التقاريض على حسب أهوائهم وما يوافق مصلحتهم ، فالحذر من كتبهم الحذر، وها أنا أنذرتك أيها المسلم ، وقد أُعذر من أنذر.

ثم حذر بعد ذلك من قراءة بعض الكتب الممزوجة بالكذب ، كنهج البلاغة ، قال : فإن بعض المدارس الإسلامية تقرئه للتلاميذ لقصد تدريبهم على البلاغة والفصاحة ، فيخشى عليهم أن يثبت في نفوسفهم لصغرهم شيء من معاني التشيع والرفع ، قال : أما نسبة الكتاب المذكور لسيدنا علي بن أبي طالب ، فهي نسبة كاذبة غير صحيحة.

قال الحافظ الذهبي في كتابه (ميزان الإعتدال في كشف الظنون): ومن مطالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على علي بن أبي طالب ، فإن فيه السب الصريح والخطأ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، .

وهو جمع الشريف الرضي، والشريف المرتضى ، قاله ابن خلّكان وهما من رؤوس الشيعة ، ولا شك أن كثيرا من عبارات هذا الكتاب ، من كلام سيدنا علي ، كما أن كثيرا من عباراته مكذوبة عليه ، فينبغي اختصاره بحذف سيئاته ، وإثبات حسناته، وحينئذ يستحسن قراءته في المدارس والدروس ، وتطيب به الأرواح والنفوس ، أما الآن وقد اختلط فيه الحق بالباطل. فلا تجوز قراءته لأولاد المسلمين البته.

قال : ومن المنكر الذي يجب إنكاره ومنعه ـ مايفعله الأعاجم في بلاد العراق ، من إرسال جماعة من علمائهم ، موظفين من طرفهم لإغواء المسلمين ، لبث عقائد الرفض بينهم ، وهم منذ سنين كثيرة ، اعتادوا على هذا العمل المضر ، وصاروا يطوفون في القرى والعشائر. حتى ترفّض بسببهم جماهير من الأعراب وأهل القرى في بلاد العراق، فليحذرهم المسلمون.

قلت ـ وكذلك يجب الإنكار على الدعاة الذين يدعون الناس إلى ترك مذهب أهل الاستقامة ويزينون لهم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة ، فإن الأربعة ونحوها ، كلها مذاهب محدثة مبتدعة ، والحق ما عليه

أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون من بعدهم ، وتابعوهم الذين لم تمل بهم الأهواء ، ولا غرتهم البيضاء والصفراء ، ألا وهم أهل الإستقامة في الدين ، الذين بذلوا مهجهم ، وجادوا بأرواحهم ، وأفنوا أشباحهم في رضى رب العالمين.

التنبيه الثاني : في الطريق لتهذيب الأطفال :

وذلك أن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، خالية من كل نقش ، ومائل إلى كل ماميل به إليه، فإن عود الخير وعلمه ـ نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، ويشاركه في ثوابه أبواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم ـ شقى وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه ، والوالي له، لتضييعهم أمانتهم ، وتركهم أمر ربهم في قوله عز من قائل : «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» ، ومهما كان الأب يصونه عن نار الآخرة أولى ، وصيانته ـ أن يؤد به ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويعلمه من القرآن ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا أمرأة صالحة متدينة ، تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشوء الصبي ، انعجنت طينته من الخبث، فيميل طبعه إلى ماينا سب الخبائث ، ومهما رأى فيه مخايل التمييز ، فينبغي أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا

كان يحتشم ويستحي ، ويترك بعض الأفعال ، فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض ، فصار يستحي من شيء دون شيء ، وهذه هدية من الله تعالى إليه ، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق ، وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه ، ثم يشغل في المكتب ، فيتعلم القرآن ، وأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، لينغرس في قلبه حب الصالحين ، ويمنع من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ، ومن مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فإن ذلك من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك ، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء، ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ، ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ، ويعلم كل مايحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ، ومن الخيانة والكذب والفحش ، وكل مايغلب على الصبيان فإذا وقع نشوه كذلك في الصِّبا فمهما قارب البلوغ ، أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية ، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها ، إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها ، وأنها دار ممر لا دار مقر ، والآخرة دار مقر لا دار

ممر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة ، وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة ، حتى تعظم درجته عند الله تعالى ، ويتسع نعيمه في الجنان ، فإذا كان النشء صالحا ، كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ، يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وان وقع النشء بخلاف ذلك ، حتى ألف الصبي اللعب ، والفحش ، والوقاحة ، وشره الطعام واللباس ، والتزين والتفاخر ، نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس.

واوائل الأمور التي ينبغي أن تراعى ـ فإن الصبي بجوهره خلق ، قابل للخير والشر جميعا ، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين ، قال ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» .

وهو كلام اختصره النبهاني من كلام الغزالي وتصرفت في بعضه . قال النبهاني : فانظر كيف منع تعليم أولاد المسلمين في حين تأديبهم في صغرهم الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ومخالطة أهلها ، خوفا على قلوبهم من بذر الفساد ، فكيف تراه يقال فيمن يدخل ولده مدارس النصارى ، ويخالطونهم ، ويتعلمون منهم ويعيشون معهم ليلا ونهارا عدة سنين ، ماكان يخطر في بال أحد، أنه يأتي على المسلمين زمان يقع فيه من بعضهم مثل هذا الأمر الشنيع ، والفعل الفضيع ، وإذ هو قد وقع الآن في كثير من البلدان ، وجب علينا الإنكار ، وتمييز سبيل الجنة من النار.

انتهى كلامه ببعض حذف وتصرف ، وبه يتم ماتيسر كتابته في هذه الصفحات ، وأسأل الله أن يعم نفعه ، وأن يكون لي نوراً بين يدي يوم النشور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وكان الفراغ من تسويده عشية السبت ، لست بقين من شهر الله المحرم سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين للهجرة.

« تم بحمد الله »

الفهـــرس

صفحة

٣ كلمـــــة الناشـــــر

٤ التقـــــــديم

٥ المقـــــــدمة

٧ الفصـــل الأول - في التحذير من مدارس النصارى

٢٨ الفصل الثـــاني - في لبـــــاس النصـــــارى

٤٦ الفصل الثـالـث - في تعليـــم اللغـــة الأجنبيـة

٥٤ الفصل الرابـــع - في حـــــلق اللـــــحى

٥٨ الفصل الخامس - في السبب الذي دخـل النصـارى بلاد الإسـلام

٦٦ الفصل السادس - في الحث على التناصر والتوازر والإستعداد للعدو بما يستطاع من قوة والتنبيه على غوائله

٧٣ الخاتمـــــة - فيها تنبيـــهات

رقم الايداع : ٧ / ٩٥

طبع بمطابع الباطنة ومكتبتها ش.م.م
هاتف : ٣ / ٧٩٧١٣٢